جامعة أحمد بن يحي الونشريس -تيسمسيلت-
معهد الآداب وللغات
قسم اللغة العربية

مذكرة تخرج تندرج لضمن متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي
تخصص: أدب عربي قديم

الموضـــوع:

دراســـــة كتـــاب: الاستشـــــراق

المفاهيـم الغربيـة للشـرق "عنـد إدوارد سعيـد"

إعــداد الطالبتين:

- دادون سارة
- بلحاج صارة

إشـراف الأستـاذة:

طعام شامخة

لجنــة المناقشــة:

الأستاذة طعام شامخة:.....

الأستاذ هدروق لخضر:.....

الأستاذة بنحنيفية فاطيمة:.....

السنة الجامعية:2021/2020

جامعة أحمد بن يحي الونشريس -تيسمسيلت-

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة العربية

مذكرة تخرج تندرج لضمن متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي

تخصص: أدب عربي قديم

الموضـــوع:

دراســـــة كتـــاب: الاستشـــــراق

المفاهيـم الغربيـة للشـرق "عنـد إدوارد سعيـد"

إعــداد الطالبتين:

- دادون سارة
- بلحاج صارة

إشـراف الأستـاذة:

طعام شامخة

لجنــة المناقشــة:

الأستاذة طعام شامخة:.....

الأستاذ هدروق لخضر:.....

الأستاذة بنحنيفية فاطيمة:.....

السنة الجامعية:2021/2020

شكـــــر وعرفـــــان

لله الحمد كله والشكر له أن وفقنا وألهمنا الصبر على المشاق التي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع.

والشكر موصول إلى كل معلم أفادنا بعلمه، وعلى وجه الخصوص الأستاذ خالد عطار من أولى المراحل الدراسية حتى هذه اللحظة.

كما نرفع كلمة الشكر إلى الأستاذة المشرفة أ.طعام شامخة" التي ساعدتنا على إنجاز بحثنا هذا وأفادتنا بتوجيهاتها، ولكل من لم يبخل علينا بالنصائح والإرشادات من قريب أو من بعيد، وكذا أساتذة وموظفي قسم اللغة والأدب العربي بشكل خاص.

وفي الأخير لا يسعنا إ لا أن ندعو الله عز وجل أن يرزقنا السداد والرشاد والهداية والتوفيق.

إهـــــــــــــــــــــداء

إلـــــى وطني العزيز، الجزائر الصامدة بأهلها .

إلـــــى الإنسان الذي علمني كيف يكون الصبر طريقا للنجاح ... باعث العزم والتصميم والارادة، سندي وقدوتي،..... أبي الحبيب أطال الله في عمره ورضي عنه.

إلـــــى من رضاها غايتي وطموحي ... فأعطتني الكثير ولم تنتظر الشكر .... صاحبة البصمة الصادقة في حياتي ... والدتي الحبية أطال الله في عمرها ورضي الله عنها.

إلـــــى رفقاء البيت الطاهر الأنيق ... إخوتي أحبائي وسندي .... أختي إيمان وأخي أمين.

إلـــــى أحبتيS وأصدقائي، وكل من ساعدني ودعمني في مشواري وشجعني **إلـــــى** أن وصلت **إلـــــى** ما أنا عليه الآن.

أهدي لكم جميعا هذا العمل المتواضع.

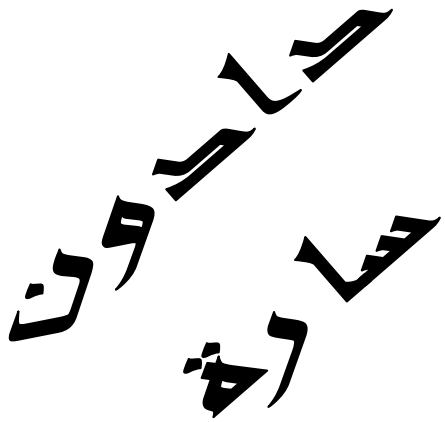

إهـــــــــــــــــــــداء

إلـــــى من الله بالهيبة والوقار **إلـــــى** من علمني العطاء بدون انتظار

إلـــــى من حمل اسمه بكل افتخار أرجو من الله أن يمد في عمره لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد و **إلـــــى** الأبد أبي الغالي عبد القادر.

إلـــــى ملاكي في الحياة ومعنى الحب والحنان والتفاني **إلـــــى** بسمة الحياة وسر الوجود.

إلـــــى من عطائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي **إلـــــى** أغلى الحبايب إلى حبيبة روحي أمي الغالية رقية حاج جلول.

إلـــــى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة **إلـــــى** رياحين حياتي إخوتي حنان وإسماعيل وعبد المجيد.

إلـــــى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي وتحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء **إلـــــى** ينابيع الصدق الصافي.

إلـــــى من معهم سعدت وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت **إلـــــى** من كانوا معي على طريق النجاح والخير بنات خالتي أزهار وهند وكوثر و **إلـــــى** مشجعتي وأمي الثانية خالتي سعاد.

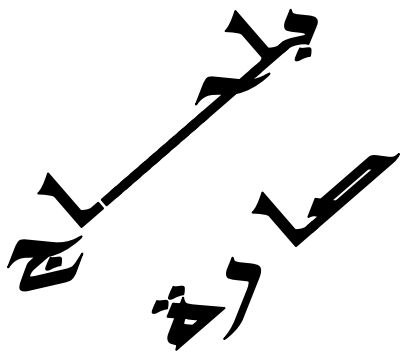

بطاقة فنية للكتاب

المؤلف: إدوارد سعيد

المؤلّف: الاستشراف المفاهيم الغربية للشرق

المترجم: د.محمد عناني

الطبعة: الطبعة الأولى 2006م.

دار النشر: رؤية للنشر والتوزيع

البلد: القاهرة

السنة: 2006م

حجم الكتاب: كبير

عدد الصفحات: 560 صفحة

قسّم إدوارد سعيد كتابة إلى مقدمة وآخر عنوان سمّاه بتذييل طبعة 1995 يصف فيها كتابه وكل ما جاء فيه يتوسطهما ثلاثة فصول، حيث عنون الفصل الأوّل بـ "نطاق الإستشراق" وحمل في طياته العناصر التالية:

أولا: معرفة الشرقي

ثانيا: الجغرافيا الخيالية وصورها: إضافة الصفات الشرقية على الشرقي

ثالثا: مشروعات

رابعا: الأزمة

أمّا الفصل الثاني عنون بـ "أبنية الإستشارف وإعادة بنائها" وتطرق إدوارد سعيد في هذا الفصل إلى:

أولا: حدود أعادوا رسمها، وقضايا أعادوا تعريفها ودين جعلوه علمانيا.

ثانيًا: سلفستردي ساسي وإرنست رينان: الأنثروبولوجيا العقلانية مختبر فقه اللغة.

ثالثا: الإقامة في الشرق ودراسته: متطلبات تصنيف المعاجم ومتطلبات الخيال

رابعا: الحجاج ورحلات الحج من بريطانيا وفرنسا

– أمّا فيما يخصّ الفصل الأخير فقد عنونه بـ "الاستشراق الآن" وتطرق في هذا الفصل إلى أربعة عناصر كذلك وهي:

أولا: الاستشراق الكامن والاستشراق السافر

ثانيا: الأسلوب والخبرة والرؤية: الطابع الدنيوي للاستشراق

ثالثا: الاستشراق الأنجلو فرنسي الحديث في أوج ازدهاره.

رابعا: آخر مرحلة

وفي تذييل الطبعة ضمّت 33 صفحة بالإضافة إلى الهوامش والمراجع الأجنبية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرّحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، الحمد لله الذي ينتهي إليه حمد الحامدين، ولديه يزداد شكر الشاكرين، الحمد لله الذي خلق الإنسان علّمه البيان، من يهده الله فلا مظل له، ومن يظلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين أمّا بعد:

يرى كثير من الباحثين أنّ الحضارة هي أسلوب حياة معيّن يمكن للفرد أن يعتاد عليه في جميع تفاصيل وشؤون المجتمع الكبيرة والصغيرة، ولا يدّل هذا المفهوم على الوصول إلى وسائل حديثة يتعامل معها الإنسان بل على طريقة تعامل الإنسان لجميع الماديات التي تحيط به وكيف يشعر تجاهها، ويوجد تعريف آخر للحضارة يُشير إلى أنّها فنون وتقاليد وميراث تاريخي وثقافي ومقدار تقدم علمي لشعب من الشعوب، والحضارات الشرقية هي التي انتشرت في المناطق الواقعة في الشرق الأوسط ومناطق آسيا وشرق أوروبا بمفهوم الحضارة الشامل أي العادات وأسلوب المعيشة والتقاليد واللباس والالتزام بقيم الدين والأخلاق ومقدار تقدم الإنسان في جميع العلوم.

فالاستشراق اتجاه فكري، يرتكز حول دراسة الحضارات الشرقية بوجه عام، في حين أنه يدرس العرب والحضارة الإسلامية على وجه الخصوص، وفي البداية في أول فترة له كان معني بدراسة اللغة العربية فقط، ومن ثم حدث له توسع فأصبح يشمل دراسة الأمم الشرقية كلها بما يضمن تقاليدها، لغاتها، وآدابها، حيث إن المستشرقين هم العلماء القادمون من الغرب حتى يدرسون اللغة العربية، الإسلام، أديان الشرق، ولغاته وآدابه، وكلمة استشراف في اللغة العربية مشتقة من لفظة (شرق)، ويتم استعمال هذا المصطلح لتوضيح شكل الحضارة الشرقية لفنانين وكتاب الغرب والجدير بالذكر أنّ الاستشراق هو عبارة عن تاريخ طويل من الدراسات الغبية للإسلام والشرق.

فكتاب الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق للإدوارد سعيد يتناول جملة المؤلفات والدراسات والمفاهيم الفرنسية والانجليزية، وفي فترة لاحقة الأمريكية عن الشرق الأوسط والتي يجزم البروفيسور

سعيد أنها السبب الرئيسي في الشرح الحاصل بين الحضارة الغربية والثقافة عموما والشرق أوسطية خاصة ولعل من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى دراسة هذا المؤلف هو أولا تخصصنا في مجال الأدب القديم، وكذا حب الإطلاع لإثراء الرصيد المعرفي فهذا ربما من أهم الأسباب التي دفعتنا للاهتمام بهذا الكتاب ودراسته، ونحن بصدد دراستنا لهذا الكتاب تبادر إلى أذهاننا جملة من التساؤلات أهمها: ما هو الاستشراق؟

وما مدى تأثيره على الشرق بشكل عام وعلى الأدب العربي بشكل خاص؟

ما هي قراءة إدوارد سعيد لظاهرة الاستشراق؟

وككل بحث اعتمدنا في دراستنا لهذا الكتاب، على منهج تاريخي تحليلي مرتكزين على خطة بحث جاءت كالآتي:

- بطاقة فنية للكتاب
- مقدمة
- مدخل
- **الفصل الأوّل**: ماهية الإستشراق

مفهوم الاستشراق لغة واصطلاحا

- تاريخ الاستشراق
- دوافع وأهداف الاستشراق
- المدارس الاستشراقية
- أسماء بعض المستشرقين وأهم مؤلفاتهم وأعمالهم.

- **الفصل الثاني**: الاستشارق "المفاهيم الغربية للشرق"
  - تجليات الاستشراق عند إدوارد سعيد.

- محتوى الكتاب (تلخيص فصول الكتاب)
- نقد وتقويم
- ملخص عام

- خاتمة كانت عبارة عن مجموعة من النتائج.
- قائمة مصادر ومراجع

وقد واجهتنا مجموعة من العراقيل والصعوبات أهمها: الصعوبة في التحكم في المادة العلمية وصعوبة التواصل مع بعضنا ومع الأستاذ بعض الشيء.

لكن رغم هذا حاولنا جاهدين أن نتخطاها ونكمل بحثنا هذا على أكمل وجه.

وفي الأخير نشكر ونحمد الله سبحانه وتعالى على إعطائنا القدرة على إتمام هذا البحث والشكر إلى الأستاذة القديرة "طعام حفيظة" المشرفة علينا.

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد، راجينا من الله أن نكون قد وفقنا في هذه الدراسة فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا فألمنا البحث والاجتهاد.

مدخل

نشأت حركة الاستشراق في فترة مبكرة، ثم توطدت جذورها وامتدت لتشمل معالم أوسع وأسماء أكثر، وكان لها تأثير كبير في الحياة الثقافية للشرق والغرب معا، فالبعض يرى أنّه مجموعة الدراسات والأبحاث التي قام بها علماء غربيون عن الشرق، في حين رأى آخرون أنّه تيار فكري عني بدراسة الشرق الإسلامي بآثاره آدابه وثقافته، ليذهب فريق ثالث لإيجاد معيار عرقي، فقالوا أنّ الاستشراق تمييز عرقي ومعرفي بين الشرق والغرب.

ومن أكثر المفكرين العرب الذين ناهضوا حركة الاستشراق، المفكر الفلسطيني "إدوارد سعيد" الذي انطلق في مفهومه لمضمون الاستشراق من خلال مفهوم الخطاب الذي إستمده من فكر "ميشيل فوكو".

ومن هذه العلاقة خرج سعيد بمفاهيمه للإستشراق، كونه أسلوب للسيطرة على الشرق وإمتلاك السيادة عليه، بصدور كتابه سنة 1978م تحت عنوان "الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق"، الذي اعتبره كثيرون دفاعا عن الإسلام والشرق، بالإضافة إلى كونه دراسة موضوعية شاملة والتي تظم أسئلة المؤلف وتحليلاته التي استقاها من خلال المخطوطات التي تركها المستشرقون الأوائل بدءا من القرن السابع عشر. [1]

إدوارد وديع سعيد (1 نوفمبر 1935 – 25 سبتمبر 2003) منظر أدبي فلسطيني أمريكي، ولد بالقدس، يعد أحد أهم المثقفين الفلسطينيين وحتّى العرب في القرن العشرين، سواءا من حيث عمق تأثيره أو من حيث تنوع نشاطاته، بل هناك من يعتبره من أهم عشرة مفكرين تأثيرًا في القرن العشرين، كان أستاذا جامعيا للنقد الأدبي والأدب المقارن في جامعة كولوميا في نيويورك، ومن الشخصيات المؤسسة لدراسات ما بعد الاستعمارية / ما بعد الكولونيالية) ومدافعا عن حقوق الانسان للشعب الفلسطيني، وقد وصفه "روبرت فيسك" بأنّه أكثر صوت فعال في الدفاع عن

[1]– نضال قوشحة، "في نقد الاستشراق وإعادة تعريفه، مفكرون عرب يعارضون إدوارد سعيد"، جريدة العرب العدد 11794، 23-04-2020م، ص10.

القضية الفلسطينية، توفي في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة، كما دون إسمه كراع فخري لجامعة الجمعية الفلسفية، وكلية ترينتي في ديلن بعد وفاته بوقت قصير (1)

كان إدوارد سعيد من الشخصيات المؤثرة في النقد الحضاري والأدب وقد نال شهرة واسعة خصوصا بكتابة "الاستشراق" المنشور سنة 1978، وفيه قدّم أفكاره واسعة التأثير عن دراسات الاستشراق الغربية المختصة بدراسة الشرق والشرقيين، قامت أفكاره على تبيان وتأكيد ارتباط الدراسات الاستشراقية وثيقا بالمجتمعات الإمبريالية، معتبر إياها منتجا لتلك المجتمعات ما جعل للاستشراق أبعاداً وأهدافاً سياسيةً في صميمه وخاضعاً للسلطة ولذلك شكك بأدبياته ونتائجه. وقد أسس طروحاته تلك من خلال معرفته الضليعة بالأدب الاستعماري، وفلسفة البنيوية و"ما بعد البنيوية" ولاسيما أعمال روادهما مثل ميشيل فوكو وجاك دريدا. أثبت كتاب الاستشراق ومؤلفاته اللاحقة تأثيرها في الأدب والنقد الأدبي فضلاً عن تأثيرها في العلوم الإنسانية، وقد أثر في دراسة الشرق الأوسط وعلى وجه الخصوص في تحول طرق وصف الشرق الأوسط. جادل إدوارد سعيد حول نظريته في الاستشراق مع مختصين في التاريخ، وبفعل كون دراساته شكلت منعطفاً في تاريخ الاستشراق فقد اختلف العديد معه ولاسيما المستشرقون التقليديون أمثال برنارد لويس،ومونتغمري واط.[2]

عُرف إدوارد سعيد كمفكرٍ عام، فضمت مجالات اهتمامه بشكلٍ دائمٍ شؤوناً ثقافية وسياسية وفنية وأدبية في المحاضرات والصحف والمجلات والكتب، ونافح –من واقع دراساته النظرية كما تجربته الشخصية كمقدسي ترعرع في فلسطين وقت إنشاء دولة إسرائيل– عن إنشاء دولة فلسطين فضلاً عن حق العودة الفلسطيني، وطالب بزيادة الضغط على إسرائيل خاصةً من قبل الولايات المتحدة مثلما انتقد العديد من الأنظمة العربية والإسلامية. حازت مذكراته «خارج المكان» المؤلفة سنة

[1]– موقع ويكيبيديا، تاريخ النشر: أفريل 2021، تاريخ الاطلاع: 2021/04/25، (https :ar-wikipidia.org)

[2]– ويكيبيديا، تاريخ النشر، أفريل 2021م، تاريخ الإطلاع: 25-04-2021م (https :ar-wikipidia-org).

1999م على العديد من الجوائز مثل جائزة نيويورك لفئة غير الروايات، كما حاز سنة 2000 على جائزة كتب أنيسفيلد-ولف لفئة غير الروايات وغيرها.

من أهم مؤلفات إدوارد سعيد:

1966 م	جوزيف كونراد ورواية السيرة الذاتية
1978 م	الاستشراق orientolism
1979 م	مسالة فلسطين
1988 م	القومية الاستعمارية والأدب: بيتس ونهاية الاستعمال
1990 م	القومية والاستعمار والأدب
1993 م	إدوارد سعيد — الناقد
1994 م	تمثيل المثقف محاضرات ريث 1993م
2000 م	تأملات من المنفى ومقالات أخرى
2004 م	الانسانية ونقد الديموقراطية
2006 م	المواطن المتناقض إدوارد سعيد[1]

يعد كتاب الاستشراف "المفاهيم العربية للشرق" الترجمة العربية الكاملة للطبعة الأخيرة المزيدة الصادرة عام 1995م، وفيها يضيف إدوارد سعيد فصلا كاملا عن أصداء ذلك الكتاب، الذي كان قد صدر أول مرة عام 1978م) في العالم الغربي وغير الغربي معا، كما يعيد النظر في هذا الفصل في بعض المسائل التي رأى أنّها تحتاج إلى إعادة نظر، ويرد فيه على بعض نقاده وما تعرض له هذا الكتاب من قبول أو رفض في الغرب خصوصا.

وإدوارد سعيد من القلائل، إن لم يكن الكاتب الوحيد الذي تصدّى للغرب بلغته ومنهجه العلمي الحديث في هذا الكتاب وفي كتبه التالية له، فكشف الغطاء عما يخفيه الغرب تحت قناع الثقافة والدراسة العلمية من مواقف سياسية لاترمي إلا إلى تحقيق مطامع أو مصالح مادية صرفة.

[1]- ينظر: موقع ويكيبيديا، المرجع السابق.

وبهذا ساهم إدوارد سعيد في توطيد الهيكل الحالي لما يسمى بالنقد الثقافي أو المدخل الثقافي في النقد الأدبي، وهو الذي يربط الأدب، والكتابة والدرس بصفة عامة، وبين النزعات البشرية المنحطة التي يدينها الغربيون بألسنتهم ويؤيدونها في قلوبهم وأفعالهم حتى هذه اللحظة، مثل النزعة العنصرية، والتعصب العرقي تحديداً، ومثل هذه الأطماع المادية الاستعمارية القائمة على الجشع المحض، ومثل نشدان التسلط والسلطان لذاته، وهو ما يتجلى في بناء الامبراطوريات أي الامبريالية، وما تكشف عنه دراسة أعمال المستشرقين في هذا الكتاب.

وقد أبدع في هذه الترجمة الدقيقةالواضحة الدكتور محمد عناني، الاستاذ في جامعة القاهرة والمترجمالضليع، الذي قدم في عام 2005م ترجمة لكتابين للكاتب نفسه هما (تغطية الاسلام – والمثقف والسلطة)، وصدر كلاهما عن دار رؤية. [1]

وقد احتوى الكتاب ذو الحجم الكبير على (560 صفحة)، قسم لثلاثة فصول ومقدمة وتذييل طبعة 1995م، تضمن كل فصل على أربعة عناوين فرعية، إستند فيها إدوارد سعيد على عدّة مراجع أجنبية كالآتي:

مقدمة	17 مرجعا	Introduction
الفصل الأوّل: نطاق الاستشراق	108 مرجعا	**1/– chapter 01** : the scope of orientalism
الفصل الثاني: أبنية الاستشراق وإعادة بنائها	123 مرجعا	**2/– chapter 02** : orientalist structures and rientructures
الفصل الثالث: الاستشراق الآن	155 مرجعا	**3/– chaper 03** : orientalism NOW.
خاتمة	11 مرجعا	After word

بمجموع 144 مرجعا لعدد من الأسماء البارزة في مجال الاستشراق من بينهم[2]:

[1] – إدوارد سعيد، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006م.

[2] – إدوارد سعيد، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، المصدر نفسه، ص 536.

-w- robertson smith	-E.M.Foster	-Bernard lewis	-Francois Rene chateaubrian
-Friedrich Nietzsche	-Joseph conrad	-Roland Barthes	-Thomas car
-Richard Borton	-H.A.R-Gibb	-Vrich tuerbuch	-Renan Eri
-Louis masignon	-Paul valery	-D.G.Hogarth	-Samuel tay coloridge
Amwar Alodel Malek	-Victor Hugo	-Martin Bornal	-Silvestre des saey

أمّا الغلاف الخارجي للكتاب تخللته لوحتين فنيتين تضمنتا نفس الفكرة، في كل من نسخة (1995م) ونسخة (1981م) العربية.

إحداهما لرسام أوربي يدعى (لوديج دتش) تسمى "الحارس والغيثارة" وهي لعربي يجلس ويعزف على الغيثارة ،بينما يقف على الباب رجل أسود يحمل سلاحه (حارس) ،وكان السؤال المطروح: لماذا إختار المؤلف اللوحتين؟

– ربطه البعض بالمعرض الذي أقامه "إدوارد سعيد" في سيدني سنة 1998م والذي احتوى على مجموعة من الرسوم والصور الفوتوغرافية لفنانين أوروبيين من القرن 19م ،عن موضوعات من شمال إفريقيا وحوض المتوسط، وأن فكرة سعيد من إقامة ذلك المعرض، كما تم الإعلان عنها هو التدليل كيف أن الفن الأوروبي ساهم في ترسيخ الفكر الاستشراقي المتحيز ضد العالم العربي الإسلامي، وأنّ اللوحتين المذكورتين كانتا ضمن الرسوم المعروضة[1].

– يعتقد إدوارد سعيد أنّ مصطلح الاستشراق مع مرور الزمن بدأ يحمل مفهوما سلبيا مقرونا بالخيانة، والغريب في الأمر أنّه اتهم من قبل بعض الأطراف الغربية والعربية أنّه ضد الاستشراق بينما اتهم من طرف بعض السلط العربية بأنه يمثل التيار الاستشراقي، وعبّر عن هذا التناقض يقوله : "مع مرور الزمن اكتسبت كلمة (الاستشراق) شهرة واسعة باعتبارها لفظة تجريح وتشهير، ومن المفارقات اللاذعة أنني شخصيا هوجمت من قبل إذاعة ياسر عرفات الرسمية، أثناء زيارة قمت بها لفلسطين عام

[1]– عبد المنعم عجب الفيا، في نقد أطروحة إدوارد سعيد، صفحة الفايس بوك، تاريخ النشر، 12-04—2019م، تاريخ الاطلاع، 25-04-2021.

(1996م) بتهمة أني مستشرق وذهبت أدراج الرياح التحديات المعرفية والأساسية التي جسدها الكتاب".

– وقد أعتبر كتاب الاستشراق الصورة التجريدية لمذهب سعيد الفكري، فقد مثل أسلوب استقراء كتابات المستشرقين، للكشف عما يكمن فيها من مواقف ثقافية قد تتفاوت من كاتب لكاتب ،ومن عصر إلى عصر، ولكنها تتميز بموقف أساسي يرجع إلى ارتباط المعرفة بالسلطة، وهو ما اتخذه إدوارد سعيد أساسا للتمييز بين ما يسميه "الاستشراق السافر" وبين "الاستشراق الكامن" في كتاب "الاستشراق" الذي نشر سنة (1978م).

الفصل الأول

ماهية الاستشراق

– واسطة العقد في أعمال إدوارد سعيد، لأنه يمثل التطبيق الكامل، العلمي الدقيق للمذهب الدينامي الذي إكتشفه عند "فيكو"، حيث يثبت علاقة الثقافة أو الإطار الثقافي العام بكل ما ينتجه من أفكار وآداب إنسانية في عصرها، فما يسميه الاستشراق الكامن أو المستتر، يشير إلى الموقف الثقافي لكل من تعرض للتفكير في الشرق أو للكتابة عنه أو لاستلهامه لأعمال الأدبية في الغرب[1]

1–مفهوم الاستشراق لغة واصطلاحا:

تعد الدراسات الاستشراقية ظاهرة حديثة في الدراسات التي سلطت الضوء على كل ما يتعلق بالفكر العربي أدبا أو دينا وفلسفة وتاريخا وغير ذلك من المعارف، ويبدو أن هذا التوجه الغربي قد حاول أن يدرس ويمحص من أنتجه العرب سلبا وإيجابا، وسنحاول فيما يلي التعريف بهذا العلم.

أ/ **الاستشراق لغة**: إنّ كلمة (استشراق) مصدر للفعل (استشرَق) والمعنى طلب الشرق، وأصله فعل ثلاثي (شَرَق) مزيد بثلاثة أحرف: الألف والسين والتاء، والذاكرة المعجمية تشير إلى أن لفظة (شرق) من: شَرَقَت الشمس تشرُق شُروقًا وشَرُقًا، أي طلعت واسم الموقع المشْرِق، و(الشّرق) جهة شروق الشمس، و(شرَّق) أخذ في ناحية المشرق، وكل هذه المعاني اللغوية، لا تكاد تؤكل لمفهوم الاستشراق، أو تجلّي عن كنهه الاصطلاحي[2]

ب/ الاستشراق إصطلاحا: يختلف الباحثون كثيرا في المراد من مصطلح الاستشراق، وتعاريفهم له تأخذ اتجاهات متعددة تبعا لموقفهم منه، فبينما يرى البعض أنه ميدان علمي من ميادين الدراسة والبحث، يتجه آخرون إلى اعتباره مؤسسة غريبة ذات أهداف متعددة، في حين يرى بعض الباحثين أنّه ظاهرة طبيعية تولدت عن حركة الصراع بين الشرق والغرب، أو في فهم أضيف نطاقا، بين الاسلام والمسيحية، وباستعراض لبعض هطه التعريفات يمكن أن نبين هذه الاتجاهات التي ينتهجها الباحثون إلى مفهوم الاستشراق.

---

[1]– بوعرفة عبد القادر، "الاستشراق"، ماذا تعرف عن الكتاب الأشهر لإدوارد سعيد؟، موقع الجزيرة، www.pljazara.net.blogs، تاريخ النشر، 2019/02/28م، تاريخ الإطلاع: 2021/03/26؟

[2]– شبكة جامع بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، http://www.humanities.uobabylon.eduiq.

-الاستشراق هو علم العالم الشرقي، وهو ذو معنيين: عام يطلق على كل غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه، ومعنى خاص وهو الدراسة الغربية المتعلقة بالشرق الاسلامي في لغاته وتاريخه وعقائده[1]

-الاستشراق هو المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق بإصدار تقريرات حوله ويوصفه وتدريسه والاستقرار فيه وحكمه، وهو بإيجار أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه[2]

-الاستشراق هو الجمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق وبين الوقوف على القوة الروحية والأدبية الكبيرة التي أثرت في تكوين الثقافة الانسانية، وهو أيضا تعاطي الحضارات القديمة، أو هو تقدير شأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن في القرون الوسطى[3]

-الاستشراق أسلوب غربي لفهم الشرق والسيطرة عليه ومحاولة إعادة توجيهه والتحكم فيه[4]

-المتشرقون هم أولئك الأساتذة والباحثون الأكاديميون الذين تخصصوا في دراسة اللغة العربية والحضارة العربية وبقضايا العالم العربي وبالدين الاسلامي[5]

-المتشرقون اصطلاح يشمل طوائف متعددة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية فهم يدرسون العلوم والفنون والآداب والديانات والتاريخ وكل ما يخص شعوب الشرق؛ مثل الهندوفارس والصين واليابان، والعالم العربي وغيرهم من أمم الشرق[6].

---

[1]- د- محمد زقرزق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، كتاب الأمة، قطر، العدد الخامس.

[2]- إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث ، ص 39.

[3]- من محاضرة ألقاها المستشرق ميكائيل أنجلو جويدي في الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة، تحت عنوان (علم الشرق وتاريخ العمران)، نشرتها مجلة الزهراء، في عددها الصادر في ربيع الأول 1347 هـ.

[4]- د شكري النجار، لم الاهتمام بالاستشراق، مجلة الفكر العربي، العدد 31، 1983م، ص 71.

[5]- ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، معهد الإنماء العربي، ط1، ص82.

[6]- عفاف ميرة، المستشرقين ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980م ، ص9.

-إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية[1]

- هذه فقط نماذج لرؤى بعض الباحثين لمفهوم الاستشراق وهي في مجملها تخصص المصطلح للدلالة على علاقة ما بين الشرق والغرب، ومعظم التعاريف لم تخرج بالعلاقة هذه عن إطار التعرف أو التسلط، الاستشراق إذا هو محاولة التعرف على الشرق في إطار عام يتناول شرقا واسعا لا تحده الديانات، أو القوميات، أو في إطار خاص يكون الإسلام محوره والعروبة أداته، ويمكن أن يكون الاستشراق وسيلة أيضا من وسائل السيطرة والتحكم في الشرق، وهي نظرة تأثرت إلى حد كبير بمجريات الأحداث العالمية في فترة ما بعد القرن التاسع عشر، وهي فترة ازدهار الاستشراق لا بداياته.

- والمعنى الجغرافي للكلمة غير مراد على الإطلاق، لأن تحديد الشرق جغرافيا يختلف من جهة إلى أخرى تبعا للجهة المحددة منها، فالشرق بالنسبة للألماني هو غير الشرق[2] لليابابي وهكذا.

- النظر إلى هذه الكلمة من الزاوية التاريخية أساسها أن حكمة الله تعالى اقتضت أن يخضع العالم إلى سيطرة قوتين كبيرتين تحققان التوازن، إحداهما في الشرق والأخرى في الغرب، تمثل ذلك في الصراع بين الفرس والروم، ثم بين المسلمين والروم صم بين المسلمين والصليبيين، ثم بين العثمانيين والأوروبيين، ثم كان آخر فصول هذه الملحمة الصلات بين الشرق ممثلا في آسيا وأفريقيا وبين الغرب ممثلا في أوروبا وأمريكا[3].

- يرى برنارد لويس الاستشراق بمعنيين اثنين هما:

المعنى الأول: يدل على مدرسة في الفن على مجموعة من الفنانين ترجع أصول معظمهم إلى أوروبا الغربية، كانوا عبارة عن رحالة إلى الشرق، يقيمون لفترة من الزمن في الشرق الأوسط وأفريقيا

[1]- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين ، دار الإرشاد، بيروت.

[2]- رودي بارت، الدراسات العربية الإسلامية، في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م.

[3]- محمد محمد حسين، الاسلام والحضارة الغربية، ط1، دار الإرشاد، بيروت 49م

الشمالية، ويرسمون ما يرونه، أوما يتخيلونه، وكانوا يفعلون ذلك أحيانا بطريقة رومانطيقية وغرائبية مدهشة.[1]

أما **المعنى الثاني**: فهو الأكثر شيوعا ولا علاقة له بالأول إنّه يعني اختصاصا علميا، وهذه الكلمة مع العلم الذي تدل عليه، تعود عليه، تعود إلى عصر التوسع الكبير للعلم في أوروبا الغربية منذ عصر النهضة.[2]، كما تعرف (anneMarie Schimmel (1922-2003

"الاستشراف هو علم له أصوله وقواعده، ومنهجه [3] "بمعنى إن الاستشراف عندها يعتمد على قواعد وأسس ثابتة لا يمكن تغييرها، (Rudiparet (1901-1983 عن الاستشراق"، هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي[4]، فهو دراسات تصب في ميدان العالم العربي من كل جوانبه وخاصة الأدبية منها.

-بداية ظهور الاستشراق:

لكل ظاهرة بداية والظاهرة الاستشراقية كذلك لها لحظة نشوء أو ميلاد جديد فقد انطلق الاستشراق في دراسة الشرق وهو واضح في حسبانه أن الشرق النقيض الحضاري والند المماثل الذي لا يكون المرآة العاكسة لتموقع في السيطرة على العالم فالنظرة الكلية للعالم الإسلامي لها ما يبرزها في سياسات الغرب المختلفة نحو الشرق[5]، كانت بدايات الاستشراق الأول بداية شغف الغرب بالتعرف على الشرق في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، هذا ما أدى إلى اختلاف المفكرون وأصحاب الاختصاص في تحديد بداياته، فهناك من يرى أن البداية الأولى للاستشراق كانت مع ظهور الإسلام، حيث "أنه بدأ من بعثة النبي محمد صلّى الله عليه وسلم،

---

[1]- محمد جلاء ادريس ،الاستشراق الاسرائيلي في المصادر العربية، دار العربي، القاهرة، 1995، ص11.

[2]- ا ينظر،لمرجع السابق، ص 12.

[3]- ينظر،المرجع السابق، ص 12.

[4]- ينظر: أحمد سمايلو فتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1998م، ص23.

[5]- تاج محمد قدور، الأدب العربي في ميزان الاستشراق، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، 1435هـ، 2014م، ص07.

واهتمام المشركين من داخل الجزيرة أو خارجها، أو أنه بدأ بعد الهجرة واحتكار النبي بيهود المدينة ونصارى نجران والجزيرة وبداية مراسلة النبي وللملوك والقياصرة[1]، وهناك من يرجع بدايته إلى الفتوحات الإسلامية والغزوات مثل غزوة (مؤتة) في السنة الثانية للهجرة، في حين يرى البعض الآخر أن بدايات الاستشراق الأولى في العصور الوسطى الإسلامية (أوروبا إبان الحكم الإسلامي في شبه جزيرة أيبيريا (الأندلس) وفي فرنسا وإيطاليا وصقلية وجزر البحر المتوسط حيث نهل الأوروبيون الذين كانوا يسبحون في ظلمات الجهل من ينابيع العلوم الإسلامية والعربية ولم يكن ليتم ذلك دون دراسة الالام ولغته ومن هنا تعتبر تلك الانطلاقة هي البداية الفعلية للإستشراق والاهتمام بالعرب والمسلمين[2]، لقد كان المسلمون العرب يكتسبون معارف وعلوم كثيرة وحضارات عريقة وهذا ما أعطى فرصة كبيرة للأوروبيين بأن يمتلكوا هذه المعارف ويوظفونها لصالحهم.

2-تاريخ الاستشراق:

لا يعرف بالضبط من هو أول غني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها وجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات، ... ومن أوائل هؤلاء الرهبان، الراهب الفرنسي "جريرة" الذي انتخب باب لكنيسة روما عام 999م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، "وبطرش المحترم" 1092-1156م. "وجيراردي كريمون" 1114- 1187م.

وبعد أن عادوا هؤء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة "بادوي" العربية، وأخذت الأديرة والمدارس العربية

[1]- موقع أخبار الدفاع والتسبيح، https://defense.arab.com

[2]- علي حسن الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1998م، ص 27-28.

تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية، وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ، واستمرت الجامعات العربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون.

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الاسلام واللغة العربية، وترجوا القرآن وبعض الكتب العربية والأدبية حتى جاء القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الاسلامي والاستيلاء على ممتلكاته فإذا بعدد من علماء الغرب بنفون في الاستشراق، ويصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والاسلامية، فيشترونها من أصحابها الجهلة، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوروبا، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر ما\تين وخمسين ألف مجلدا، ومازال هذا العدد يتزايد حتى اليوم.

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس 1873م، وتتالى عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضاراته. [1]

يمكن حصر آراء الباحثين في تاريخ الاستشراق في النقاط التالية:

-يرجع بعض الباحثين نشأة الاستشراق إلى أواخر القرن السابع الميلادي، ويسندون في ذلك إلى كتابات بعض المسيحيين عن الاسلام أمثال يوحنا الدمشقي، ولا شك في أن هذا الرأي ربما يتوافق مع المفهوم العام للاستشراق لا المفهوم الأكاديمي له.

[1]- مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، مالهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، مكتب دار البيان، الكويت، (د ط)، ص 17-18.

-ويرى الكثيرة من الباحثين أنّه نشأ في القرن العاشر الميلادي حين بمأتمة بدأت التلمذة الغربية على الشرق التي كان رائدها الارهب جريرت، الذي تعلم العربية في قرطبة ثم عاد إلى يلاده ليتولى البابوية تحت اسم سلفستر الثاني[1].

-وهناك من يقول إن الاستشراق نشأ في القرن الثاني عشر، ويستدل على ذلك بظهور أول نتاج استشراقي تمثل في أول ترجمة لمعاني القرآن، وكذلك ظهور أول قاموس لاتيني عربي.

-كما أن هناك من الباحثين يرى أن الاسشراق يعتبر نتيجة من نتائج الحروب الصليبية، ذلك أن هذه الحروب كانت آخر مراحل الصراع الديني المسلح بين المسلمين والمسيحيين، وأن هؤلاء ربما اقتنعوا بأنه لا يمكن الانتصار على المسلمين عسكريا وهم متمسكون بدينهم، ولكي يتم قهرهم والسيطرة عليهم يجب الفصل بينهم وبين دينهم عن طريق ما عرف فيما بعد بالغزو الفكري الذي كان الاستشراق أحد أهم مظاهره، ونتيجة لهذه القناعة تولت الكنيسة هذا العمل وقامت برعاية كل الجهود الرامية إلى تعلم العربية وفهم الدين الاسلامي، وهي الجهود التي تطورت بعد ذلك لتكون حركة الاستشراق.

-وأخيرا فإن بعض الجهود يرجع نشأة الاستشراق إلى القرن الثامن عشر، متخذا من حملة نابليون على مصر نقطة انطلاق الحركة الاستشراقية، وعلى الرغم من أن اصطحاب هذه الحملة عسكرية إلا أن نابليون معه مطبعة وعددا من العلماء الباحثين هو الذي دفع إلى القول بأنّها بداية الاستشراق.

[1]- محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائلة، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، توزيع دار قتيبة، ط1، 1998م، ص 24-25.

3-دوافع الاستشراق:

الاستشراق ظاهرة تاريخية تدرس تاريخ وحضارة الغرب فهو بطبيعة الحال مجال واسع وهذا ما أدى بنا إلى دراسته والتعمق فيه وخاصة في دوافعه التي تمثل حافز لدى المستشرقين كما أن هناك عدة عوامل اشتركت في تحديد معالمه ودوافع ولعلّ أهم الدوافع البارزة تتمثل فيما يلي:

الدافع الديني: لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث لنتعرف إلى الدافع الاول للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني، فقد بدأ بالرهبان واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر، وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوّهوا محاسنه ويحرّفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام كان يومئذ الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين ديني لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسافكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي، ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام وكره لأهله، فاستغلوا هذا الجو النفسي، وازدادوا نشاطا في الدراسات الإسلامية.

وهناك الهدف التبشيري الذي يتناسوه في دراساتهم العلمية، وهم قبل كل شيء رجال دين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين، لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث.[1]

[1]- مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقين (ما لهم وما عليهم)، دار الوراق للنشر والتوزيع، مكتب دار البيان، الكويت، دط، ص 20-21.

الدافع الاستعماري: لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية، لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب، فانتهجوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، على مواطن الضعف فيغتنموه، ولما تمّ لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندنا من قيم إنسانية وعقيدة، فنفقد الثقة بأنفسنا، ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة.

– كانوا يشجعون في بلادنا القوميات التاريخية التي عفى عليها الزمن، واندثرت منذ حمل العرب رسالة الإسلام، فتوعدت لغتهم وعقيدتهم وبلادهم وحملوا هذه الرسالة إلى العالم فأقاموا بينهم وبين الشعوب روابط إنسانية وتاريخية وثقافية ازدادوا بها قوة، وازدادت الشعوب بها رفعة وهداية، إنهم ما برحوا منذ نصف قرن يحاولون إحياء الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا ولبنان وفلسطين، والأشورية في العراق وهكذا ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة وليعوقوا قوة الاندفاع التحريرية عن عملها في قوتنا وتحررنا وسيادتنا على أرضنا وثروتنا وعودتنا من جديد إلى قيادة رتب الحضارة، والتقائنا مع إخوتنا في العقيدة والمثل العليا والتاريخ المشترك والمصالح المشتركة.

الدافع التجاري: ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأرخص الأثمان ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين.

الدافع السياسي: هذا الدافع أخذ يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والاسلامية، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية، ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف على أفكارهم،

ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته، وكثيرا ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون – ولا يزالون في بعض البلاد العربية والإسلامية – يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض، وبين الدول العربية والدول الإسلامية، بحجة توجيه النصح وأداء المعرفة بعد أن درسوا تماما نفسية كثيرون من المسؤولين في تلك البلاد، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحكم واستعمارهم. [1]

الدافع النفسي: هدفه تزييف الحقائق وتحريفها تعبيرا عن إخفاء الحقائق في حالة العجز بحيث يكون العجز عند مواجهة الخصم.

– ومن أجل التخلص من هذا التأثير التوتري الناشئ داخله، ويكون هذا التأثير أقوى، ودليل ذلك الإسلام الذي يشهد حالة الواقع وذلك من خلال العقائد اللذان يعتبران الأقوى في الإسلام وتفوق العقائد الأخرى، وقوته الذاتية التي تأتي من داخله لأنه، يمثل الحق والخير والأمر والسلام([2])

الدافع العلمي: لقد كان دافع الاستشراق العلمي هو فتح فرص العمل أمام الشباب الغربي والإطلاع على حضارات الأمم الأخرى وثقافتها ولغتها وحتى دينها: "ومما لاشك فيه أن هناك فئة من المستشرقين اندفعت برغبة علمية صادقة وبدافع ذاتي وهواية شخصية تطورات إلى انحراف لدراسة التاريخ الاسلامي، محاولة التعرف على الحقيقة قدر المستطاع[3].

–ميدان الاستشراق:

لكل علم ميدانيته كذلك الدراسات الاستشراقية الغربية لديها ميادينها المتعددة، فميدان الاستشراق يعود إلى توسع الاستعمال الغربي في الشرق إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وحضاراته وجغرافيته وتقاليده، وأشهر لغاته وإن كانت العناية بالاسلام والآداب العربية والحضارة هي

[1] – مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ما لهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، مكتب دار البيان، الكويت، دط، ص 23-24.

[2] – غربي بكاي، فن القراءة عند المستشرقين، مجلة الباحث في الآداب واللغات، دورية أكاديمية محكمة تصد عن مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة في الجزائر، جامعة إبن خلدون، تيارت، العدد 10، جوان، 2014، الجزائر، ص 66.

[3] – فاروق مرفوزي، الاستشراق والتاريخ الاسلامي، ص 36- 37.

أهم ما يعني به المستشرقون حتى اليوم، نظر للدوافع الدينية والسياسية التي شجعت على الدراسات الشرقية[1].

فالميدان الاستشراقي كان مهد الحضارات ودراسة المجالات السياسية والاقتصادية وبالخصوص النازع الديني الذي عرف اهتماما كبيرا لدى الشعوب العربية الإسلامية.

-المجلات التي يصدرونها :

قام المستشرقون بإنتاج كم هائل من الأدبيات الاستشراقية سواء كانت كتبا أو مقالات ... إلخ كل هذا يتم توثيقه وإصداره في مجالات ودوريات استشراقية نذكر منها:

أ/ في عام 1717م أنشأت الفرنسيون جمعية للمستشرقين ألحقوها بأخرى عام 1220م، ثم صدورا المجلة "الأسيوية"

ب/ وفي لندن تألقت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام 1823م، وقيل أن الملك يكون ملك أمرها، وأصدرت "مجلة الجمعية الآسيوية الملكية".

ج/ وفي عام 1842م أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم " الجمعية الشرقية الأمريكية" وفي العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم، وكذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وإيطاليا وروسيا.

د/ ومن المجالات التي يصدرونها المستشرقون الأمريكيون في هذا القرن "مجلة جمعية الدراسات الشرقية" وكانت تصدر في مدينة جامبير بولاية Chio ولها فروع في لندن وباريس وليبزج، وتورونتو في كندا، ولا يعرف إن كانت تصدر الآن، وطابعها العام على كل حال طابع الاستشراق السياسي وإن كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدينية، وخاصة في باب الكتب.

هـ/ يصدر المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر، "مجلة شون الشرق الأوسط" وكذلك مجلة الشرق الأوسط"، وطابعها على العموم طابع الاستشراق السياسي كذلك.

[1]- ينظر: مصفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، (مالهم وما عليهم)، ص20.

و/ أخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر هي مجلة "العالم الاسلامي" أنشأها صمويل زويمر في سنة 1911م، وتصدر الآن من هارتفورد بأمريكا ورئيس تحريرها كنيث كراج وطابع هطه المجلة تبشيري سافر.

ز/ للمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة "العالم الاسلامي" في روحها واتجاهها العدائي التبشيري، واسمها أيضا LE MONDE MUSULMAN ([1])

-أهداف الاستشراق:

سؤال يتردد دائما في أذهان المفكرين والباحثين ممن تناولوا علاقة الشرق بالغرب وهو: ما الهدف من اهتمام الغربيين بالشرق؟ الآلاف من المستشرقين الباحثين في مختلف الحضارة العربية، عشرات اللغات المستخدمة في دراساتهم، عشرات الدول التي تخصص جزءا مهما من ميزانياتهم لدعم مثل هذه الدراسات، المئات من المؤسسات والجامعات التي تفتح أبوابها لاحتضان ورعاية هذه الدراسات، كل ذلك يجري لدراسة حضارة غريبة عنهم، ومن هنا يزداد السؤال تشعبا، هل كل الأمم اهتمت بالحضارات بعضها بنفس القدر الذي اهتم به الأوروبيون بالحضارة العربية؟ أيكون اهتمام الأوروبيون بالحضارة العربية في إطار الاستفادة العلمية كما استفاد العرب من حضارات من سبقهم؟ كل هذه الافتراضات قائمة في ميدان البحث العلمي، والإجابة عنها قد تكون ميسرة الآن، لأن حركة الاستشراق تجاوزت عشرة قرون، ونتاجها الكري طوال هذه الفترة قد يكون كافيا لبناء حكم حول طبيعة وأهداف هطه الحركة، ولذلك خاض الباحثون كثيرا في تحديد هذه الأهداف، ولكنهم ظلوا مشدودين إلى مؤثرات نفسية جعلت محاولة تحديد أهداف الاستشراق أمر جدلبا قائما على تصورات ذاتية، فمن وقع تحت سيطرة التأثيرات الدينية والعرقية والتاريخية لم ير للاستشراق هدفا غير الحقد الديني والكراهية العنصرية والنزعة الاستعمارية، ومن قع تحت تأثير التقدم التقني والمادي ولم يتمكن منه الشعور الديني أو القومي لم ير للاستشراق هدفا غير العلمية والموضوعية والمنهجية.

[1]- ينظر: مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)، ص 37-38.

ومن خلال ما تقدم نستطيع القول أن حركة الاستشراق ذات أهداف متعددة ذكرها الباحثون في كتب ومقالات متعددة ويمكن إجمالها في هدفين رئيسيين هما: (هدف بنائي / وهدف هدمي).

الأوّل: يتمثل في إقبال المستشرقين على التراث الإسلامي جمعا ودراسة وتحقيقا ونشرا وترجمة يقصد الاستفادة العلمية من علوم ومعارف الأمة العربية التي وصلت أعلى سلم التقدم العلمي عند قيام حركة الاستشراق ولم تكن هذه الاستفادة في جوانب مادية فقط، وإنما شملت أيضا جوانب عقدية تمثلت في محاولة التعرف الدقيق على العقيدة التي كانت سببا وراء قيام هذه الحضارة، ولذلك تخصص عدد كبير من الأوربيين في دراسة القرآن من جميع جوانبه، وفي السنة النبوية والفقه والتاريخ الإسلامي وغيرها من المجالات، ولكن استفادتهم وقفت عند الحد المعرفي ولم تتجاوزه إلى الجانب العدمي[1]

أمّا الهدف العلمي يهدف إلى التشكيك في صحة رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومصدرها الإلهي، ويختلفون في دراسة وتفسير ظاهرة الوحي، ففريق منهم يرجعه إلى "صرع" كان ينتابه حينا بعد حن ومنهم من يرى بانها تخيلات كانت تملأ ذهنه، كذلك كانوا يزعمون بأن الإسلام مستمد من الديانة اليهودية ومن أشدهم إدعاء جولد تسيهر (1921 – 1850) وشاخت [1970 - 1877] الذين شككوا في صحة الحديث النبوي المصطفى، صلّى الله عليه وسلّم، كما شككوا في الفقه الإسلامي الذي حوى تسريعا هائلا.

والتشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي والتشكيك في الأدب العربي حتى يبقى أدبهم وجهتنا وقبلتنا التي نستلهم منها أفكارنا[2]

الثاني: وهو الهدف الهدمي، أي ما يراد به هدم أوامر الترابط بين إنسان هذه الحضارة وبين عقيدته، وذلك من أجل ألا تتجدد هذه الحضارة التي أريد لها الاندثار، ليخلو المجال لحضارة الغرب المادية، وتحقق لهذا تتابعت الدراسات غير العلمية التي قدمت التراث الإسلامي في شكل مشوه

[1] – ينظر: محمد فتح الله الزّيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، ص 32 – 33.

[2] – ينظر، غربي بكاي، فن القراءة عند المستشرقين مجلة الباحث في الآداب واللغات، ص67.

اعتمد على الحذف والتغيير وسوء الاستنتاج، وتفسيرا لوقائع على غير حقيقتها وحتى على الكذب والتزوير المتعمد أحيانا.

وساهم ذلك هدم من نوع آخر تمثل في مساعدة الدول الاستعمارية على تدمير العالم الإسلامي سواء كان ذلك بالتمهيد لحركة الاستدمار العالمي أو تجذيرها وتوظيفها، وتعترف الدوائر الغربية بدور المستشرقين الايجابي في المساعدة على احتلال العالم الإسلامي، أو حتى دول الثالث عموما. ومما له علاقة بجانب الهدم أيضا ما قام به المستشرقون من خدمات كبيرة ساهمت في تنشيط العمل التنصيري والرفع من مستوى أدائه، والاستشراق كان ولا يزال الهيئة الاستشارية لحركة التنصير، منه تستمد معارفها وعلومها، وبه تستعين على تقويم أعمالها وتوجيه برامجها وخططها.

-وسائل الاستشراق:

نقصد بوسائل الاستشراق كل ما استخدمه المستشرقون من أدوات وطرق لتوصيل أفكارهم ونظرياتهم سواء أكان ذلك للعالم الغربي أم إلى شعوب العالم الشرقي، ونظرا لتعدد هذه الوسائل نذكرها كالآتي:

العمل الجامعي: ويشمل هذا النوع من العمل الذي يكاد يكون السمة الرئيسية العمل الاستشراقي التدريس ، وإنشاء الكراسي الدراسات الشرقية، والمعاهد المتخصصة في مجال اللغات الشرقية، والإشراف على برامج الدراسات العليا، وتنظيم المحاضرات واللقاءات الفكرية المتنوعة، وتأليف الكتب المنهجية، والمستهدف بهذا النشاط الفكري ليس العربي وحده وإنما يصل ذلك إلى عقول شبابنا ممن دفعنا بهم إلى التعلم في المؤسسات الغربية، والذين كانوا ولا يزالون أكثر الناس تعرضا لحملات الفكر الاستشراقي المضاد للإسلام، لقد شغلت المحاضرة الجامعية حيزا مهما في العمل الاستشراقي، فهي توفر للمستشرق فرصت كبيرة في طرق العديد من الأفكار والانتقال بين مواضيعي كثيرة قد لا توفرها فرصة التأليف المنهجي، وإذا كانت هذه المحاضرة عامة وخارج نطاق المنهج فإن فرصة العمل فيها العمل فيها أفضل لكثرة حضورها وتنوع اهتماماتهم، ويمكننا أن نذكر على سبيل

المثال محاضرة أحدهم بجامعة لندن التي ضمنها كل اعتراضات العصور الوسطى على محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى الإسلام دون إبداء أي احترام للحاضرين، وقد أعلن في مقدمته أنه يقدم معلومات صحيحة تعالج القضية موضوعيا بغرض الإنصاف والتدقيق، وكانت نتيجة هذه الدراسة في النهاية أن محمدا قد تمثل أفكارا في التلمود وبعض المصادر المحرفة.

– ونظرا لأهمية التدريس الجامعي في نشر الفكر الاستشراقي فقد عمل المستشرقون على الدخول في الجامعات العربية خاصة والشرقية عامة، وشهدت كثير من هذه الجامعات عصرا كان المستشرقون هم رواد التدريس فيها، ونذكر على سبيل المثال: (بلتيه) الذي درس في كلية الحقوق بالجزائر و(هوداس) الذي عين أستاذ اللغة العربية في الجزائر، و(هنري باسة) الذي عين مديرا المعهد الدراسات العليا في الرباط، وفي الجامعات المصرية كان الإيطاليون جويدي وسانتلانا ونللينو، والفرنسي كازانوفا، والبلجيكي جريجوار، والألمان شاخت وغيرهم، تلك القائمة طويلة من أسماء المستشرقين الذين عملوا في الجامعات الشرقية أساتذة وقياديين في مؤسسات علمية، وكان لهم أثر كبير في خلق أجواء ثقافية جديدة وخلق جيل جديد تشبع بتيار الثقافة الغربي الذي جعل طه حسين يؤرخ لهذه الظاهرة.

تأليف الكتب والمعاجم والموسوعات: شغل التأليف مكانا هاما في نشاط المستشرقين، حيث توجهت أقلامهم للكتابة حول كل شيء يتعلق بالشرق لغة وأدبا وعقائد وفنونا وتراثا وغير ذلك، ففي مجال تأليف الكتب نذكر أم ما يقرب من 60000 كتاب قد ألفت حول الشرق من قبل الغربيين في الفترة ما بين 1900 إلى 1950م[1]، زد على ذلك قبل هذه الفترة وبعدها حتى يومنا هذا، ولم تكن هذه المؤلفات ذات طابع واحد فقط فقد كان الكثير منها يمتلئ بالأخطاء المنهجية والعلمية ويتميز بالأحكام المسبقة، خاصة ما كان منها متعلقا بالديان الإسلامي بصورة أدق،كان بعضها يخلو من ثمل هذه السلبيات ويتسم بالروح العلمية المنهجية، إلا أن اعتماده على مرجعية غربية كاملة نظرا لضعف اللغة أدى إلى الوقوع في بعض المزالق، أما القليل النادر من هذه

[1]– ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق، ص 216.

المؤلفات فهو ما كانت الأمور معروضة فيه بصورة علمية ومنهجية صحيحة، وهو الذي يدخل في نطاق أبحاث الدافع العلمي.

– أما موضوع المعاجم فقد قام المستشرقون فيه بجهد فريد لا ينكره إلا من جهله ولم يقف على حقيقته، فما قام به هؤلاء في هذا الجانب قد خدم الباحثين كثيرا في مجالات مختلفة وسد فراغا هائلا كانت تعاني منه المكتبة العربية.

– وإذا كان لنا من أمثلة على ذلك فلنذكر تاريخ الأدب العربي لـ كارل بروكلمان، وتاريخ الأدب العربي لـ ها مربرجتشال الذي ترجم فيه لـ 9915 أدبيا وشاعرا، وهناك معجم فينشك الروسي عمل فيه لمدة 15 سنة وتوفي ولم يكمله، ويشتمل دراسات اللهجات في سوريا ولبنان وفلسطين، ومعجم فيشر اللغوي الأدبي المقارن بالغات السامية القديمة، وهناك المعجم العام لهوبلر الفرنسي، ومعجم الاسلام لهيوز، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث الذي وضعه مجموعة من المستشرقين بإشراف ونسنك ومنسيخ، ويأتي على رأس هذه المعاجم كلها دائرة المعارف الإسلامي، التي ظهرت في الفترة ما بين 1913م، 1998م وانتشرت بعدد ذلك، وترجمت وظهرت في طبعات متعددة وأصبحت مرجعا مهما للباحثين وخاصة في مجال الدراسات الإسلامية.

– ورغم ما صاحب هذه الدائرة وغيرها من المعاجم الأخرى في أخطاء وسلبيات كثيرة، إلا أنها تبقى حاجة ماسة للباحثين ليس لهم غني عنها إلا حين تتوافر همة علماء الشرق على كتابة معاجم أخرى تكون البديل العلمي الصحيح لما هو متداول الآن، خاصة دائرة المعارف الإسلامية التي يعتبر عدم القيام بها من طرف المسلمين عامة عار يلحق بهم جميعا، لأن لكل أمة ذات حضارة ورسالة خالدة عملا عمليا ضخما يجمع كل ما يتعلق بها من معلومات مفيدة، ويقدم للعالم صورة صادقة عنها.

– ونظرا لعدم وجود مثل ذلك بالنسبة للإسلام فقد الشغل المستشرقون هذا الفراغ وعملوا دائرة معارف ضمنوها كل ما أرادوا، وبقي دورنا يتمثل في الفرجة وفي أحسن الأحوال تصحيح ما ترجم منها إلى العربية فقط[1].

العمل الصحفي: نظر لها للصحيفة والمجلة من أهمية في تقديم المعلومات المختصرة بصورة متجددة وانتشار واسع، فقد عمل المستشرقون على ارتياد العمل الصحفي بانتشار العديد من المجلات المتخصصة والعامة، وقد قاربت المجلات الاستشراقية 300 مجلة بمختلف اللغات، ومنها على سبيل المثال المجلة الآسيوية الفرنسية، ومجلة الجمعية الآسيوية الملكية الانجليزية، ومجلة الجمعية الشرقية الأمريكية، ومجلة شؤون الشرق الأوسط، ومجلة العالم الإسلامي الأمريكية، ونظيرتها الفرنسية التي تحمل نفس الاسم، ومنها أيضا صحيفة العلماء التي تصدر في فرنسا، ونشرة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، وكانت أول مجلة استشراقية متخصصة في أوروبا صدرت على يد ما هامر مربرجشال في فينا باسم كنوز الشرق في 1818/1989م [2]

المؤتمرات الاستشراقية: من ضمن الوسائل التي ساهمت في تنشيط العمل الاستشراقي فكرة المؤتمرات الاستشراقية التي تجمع ما افرق من جهود المستشرقين الموجودين في أماكن متعددة من أوروبا، فهذه المؤتمرات كانت فرصة للقاء والتعارف وفرصة أيضا لتوحيد الجهود وتنظيميها، وقد كانت ذات مستويين: مؤتمرات عامة وأخرى محلية، أما الأولى فقد انطلقت من دعوة وجهها العالم الفرنسي ليون دي روزني، حيث تم عقد أول مؤتمر للمستشرقين سنة 1873م في باريس، وتتابعت بعدها المؤتمرات دوريا إلى الآن، ويشترك في عضوية هذه المؤتمرات مئات العلماء سواء كانوا مستشرقين أو علماء شرقيين يدعون كضيوف مشاركين في كل دورة، وعلى سبيل المثال ضم مؤتمر أكسفور" 900 عالم من 25 دولة و 85 جامعة و 69 جمعية علمية وبلغت مجموعات العمل ما يقرب من 14 مجموعة تختص كل واحدة منها يبحث مجال معين من مجالات الدراسات الاستشراقية.

[1]– ينظر: نذير حمدان، في الغزو الفكري، ص 251.

[2]– ا ينظر،لمرجع السابق، ص 251.

– ومن ضمن الأمثلة أيضا المؤتمر السادس والعشرون الذي كان جدول أعماله يتكون من الآتي:

- علم الآثار المصرية
- الدراسات السامية: البابلية والآشورية والدراسات العبرية.
- الدراسات الحبيتية والقوقازية.
- الدراسات التركية
- الدراسات الإبرانية
- الدراسات الهندية
- دراسات جنوب شرق آسيا
- دراسات شرق آسيا
- الدراسات الاسلامية
- الدراسات الإفريقية

– وقد ناقش هذه الموضوعات 1200 عالم من شتى بقاع المعمورة[1]، ويشارك علماء عرب في هذه المؤتمرات، ومن الذين شاركوا عبد الله الفكري، وحمزة فتح الله، وحنفي ناصف، ومحمد روحي الخالدي، وإبراهيم مدكور وغيرهم[2]

– وقد نال بعضهم جائزة أحد هذه المؤتمرات حيث كان المؤتمر الثامن قد اقترح تقديم جائزة لأحسن مصنف يتناول العرب من حيث بيان أنسابهم، ومشاهير رجالهم، وذكر مساكنهم، وعاداتهم في الأكل والمشرب والزواج، وتفصيل مجامعهم.

– ومفاخرهم ومعتقداتهم وعلومهم وصنائعهم، وقد نال الجائزة محمود شكري الأولسي العراقي على كتابه (بلوغ الأرب في أحوال العرب)[3]

[1]– ينظر: نذير حمدان، في الغزو الفكري، ص 258.

[2]– ينظر: أحمد سمايلوفتش، الاستشراق وأثره في الأدب العربي المعاصر، ص 105.

[3]– ينظر: نذير حمدان، في الغزو الفكري، ص 259.

– وإلى جانب هذه المؤتمرات كانت تعقد مؤتمرات إقليمية تضمن مستشرقي بلد معين، أو الذين ينتمون إلى لغة واحدة، وهذه أسبق زمنيا من المؤتمرات العامة وكانت بدايتها مؤتمر المستشرقين السوفيات الذي عقد في لينينغراد عام 1937م، وحلقة المستعربين السوفيات التي عقدت بطشقند عام 1958م، وحلقة المستشرقين يبروكسل .. إلخ.

– ولعل المرء يلاحظ أن هذه المؤتمرات كانت وسيلة لدفع العمل الاستشراقي الذي خفت حدته بعد رحيل المستشرقين القدامى الذي كان الواحد منهم يتكفل بعمل ما يقوم به مؤتمر، بل ينتج أكثر من ذلك، أمثال راسطة وبوهان فوك[1] وبروكلمان، وغير ممن تفانوا في خدمة العمل الاستشراقي، أما وقد ظهر جيل آخر من المستشرقين ليس له صبر الأوائل على البحث والاطلاع، وليس له غزارة إنتاجهم فإن أفضل وسيلة لدفع العمل الاستشراقي هي المؤتمرات التي يجمع نتاجها في مجلدات تدفع إلى القراء في مختلف أنحاء العالم، وقد صدر عن مؤتمر ليدن أربع مجلدات وعن مؤتمر فينا خمسة مجلدات، ومجلد واحد لكل من مؤتمر هامبورج وكوبنهاجن.

المجامع العلمية: من ضمن ما قام به المستشرقون من أعمال محاولة دخولهم إلى المجامع العلمية العربية وخاصة اللغوية منها، وهي وسيلة من الوسائل التي مكنت المستشرقين من الاتصال المباشر بالعلماء والمفكرين العرب والمسلمين، وساهمت أيضا في تسريب الفكر الاستشراقي إلى هذه المؤسسات، ولعله من الجدير بالملاحظة والانتباه المسوغ الذي أباح لهؤلاء المستشرقين الدخول إلى المجامع اللغوية كأعضاء فاعلين فيها، وربما إذا اطلعنا على محاضر ونتائج اجتماعية هذه المؤسسات تبين لنا أن هناك عدم اتفاق على قبول المستشرقين قي هذه المجامع، وقد كانت تحدث بين الفينة والأخرى مناقشات حادة حول عضوية هؤلاء وربما أدت هذه المجامع، وكمثال على من كان له شرف عضوية المجامع اللغوية العربية نذكر المستشرق هاملتون جب العضو المؤسس في مجمع القاهرة، والدكتور كمسون رئيس المجمع اللبناني العلمي وكارلو نللينو الايطالي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ولويس ماسينيون الفرنسي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة أيضا، وهؤلاء نماذج فقط لقائمة طويلة

[1]– ينظر: ميشال جحا، الدراسات العربية والاسلامية، في أوروبا، ص 213-214.

من المستشرقين الذين انبثوا في كل المجامع العربية والإسلامية والشرقية عامة، وبعضهم نال عضوية أكثر من مجمع في وقت واحد.

-منافذ الفكر الاستشراقي إلى عالمنا:

- بعد هذه الجولة السريعة مع الاستشراق ومؤسساته ووسائله لابد لنا أن نتساءل كيف تسرب النتاج الاستشراقي إلى مجتمعاتنا وبأي وسيلة كان ذلك؟ وهل أثر هذا التسرب الفكري في إحداث تغيرات في سلوكياتنا ومداركنا؟

- والإجابة عن هذه التساؤلات قد تحتاج إلى وقفة طويلة تستلزم مؤلفا خاصا بها أو أكثر، وذلك إلى التأثير الغربي في مجتمعنا مر بمراحل متعددة وتوجه إلى جوانب كثيرة في حياتنا، وهذا التأثير هو بعينه ما ألفت فيه كتب كثيرة تحت عنوان الغزو الفكري، حيث تحدث الباحثون عن هذه المواضيع وقسموها إلى فترة ما قبل الاستعمار الغربي، ثم الفترة المصاحبة للاستعمار وهي الممتدة إلى يومنا هذا، والذي يجب الانتباه إليه أن التأثير والتأثر بين الشعوب والأم ظاهرة معتادة وليست مستغربة، وهي مرتبطة بعامل القوة فالقوي دائما هو المؤثر، والمغلوب دائما هو المتطلع إلى محاكاة الغالب، إضافة إلى أن عامل القوة ينتج عنه التقدم الفكري والمادي ويساهم بشكل أو بآخر في صنع الحضارة، وهذا حال المسلمين بالضبط عندما كانوا أقوياء ومتحدين كانوا هم النماذج أو النموذج الذي يتطلع إليه الآخرون، ويرحلون إلى دياره للاعتراف من علومه ومعارفه، وأثناء ذلك كانوا يتأثرون بصورة أو بأخرى بعاداته وسلوكياته الجبائية، وهكذا كان حال الغربيين زمن ازدهار الحضارة العربية وقد سبق أن أشنا إلى هذا في حديثنا عن تاريخ الاستشراق.

- حين تفكك العرب والمسلمون وعمت بينهم الفرقة والضغائن، وطغى عليهم سلطان الشهوات ظهر فيهم الضعف وانحسروا عن ميدان الصراع الحضاري، وكان لابد عندها من ظهور حضارة بديلة تمثلت في الحضارة الغربية، وهنا يدور الزمان بدورته وتظهر القوة لدى الغربيين ويتمكنون من الأرض ويملكون ملا نملك وينتجون مالا ننتج، فتتحول بالتالي إلى مغلوبين، غير أنّ الجدير

بالملاحظ هنا أن العرب والمسلمين زمن قوتهم لم يقصدوا التأثير في غيرهم ولم يعدوا له عدة، ولم ينشؤوا له مؤسسات، بل كان تأثر غيرهم بهم تلقائيا تحكمه عوامل الإعجاب والحاجة بما لدى الغير من إمكانات علمية وتقنية، أما العالم الغربي فقد قصد التأثير ولم يتركه لعامل الزمن، وأعد له عدة وأنشأ له مؤسسات كثيرة أهمها الاستشراق الذي نحن بصدده الآن، وتضافرت يهود الغربيين جميعا على تنفيذ برامج الغزو الفكري للعالم الشرقي عموما والإسلامي خاصة من أجل السيطرة على هذا العالم ليظل تابعا للعالم الغربي في مختلف المجالات. [1]

– لقد تكفل المستشرقون من خلال مؤسساتكم بتنفيذ هذا البرنامج، فعملو على تطبيع العقل الشرقي وتطويعه كلما سمحت لذلك فرصة، وكانت مشروعاتهم تشمل مختلف الفئات وتدخل جميع المجالات، ومن أهم الوسائل التي نفذ منها فكرهم القنوات التالية:

أ– **الارساليات الشرقية:** هذه الإرساليات تشبه إلى حد كبير تلك البعثات التي كانت تفد على الأندلس لتلقي العلوم العربية، فالشرقيون تحت شعورهم بالحاجة إلى العلم والمعرفة توجهوا إلى أقطار العالم الغربي طلابا موفدين إلى الجامعات الغربية في مختلف المجالات، وهؤلاء كانوا مختلفي الأعمار وقليلي الثقافة، ولذلك كانوا الوسيلة الجيدة التي تأثرت بالفكر الاستشراقي سلبا أو إيجابا، وكان بعضهم حين عودته إلى البلاد خير مروّج لهذا الفكر وخير مدافع عنه، ومعظم التيارات الفكرية الوافدة والنظريات الغربية إنما ذاعت في مجتمعنا عن طريق طلابنا العائدين من أوروبا وأمريكا.

وتشمل هذه الإرساليات أيضا العاملين في الحقل الدبلوماسي في الدول الغربية، وكذلك المهاجرين إلى بلاد الغرب طلبا للعمل والاتجار، فهؤلاء أيضا كانوا وسيلة نقل جيدة عبر من خلالها الغزو الفكري إلى عالمنا، غير أن هؤلاء نتيجة بعدهم بعض الشيء عن مجالات الفكر والثقافة، اقتصر تأثيرهم على النواحي السلوكية والأخلاقية، فشاعت بيننا عن طريقهم كثير مما لم نكن نعرف من عادات اجتماعية أثرت في علاقات الرجل بالمرأة، وعلاقات الآباء بالأبناء، وغيرها من العلاقات

[1]– ينظر: محمد فتح الله الزّيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، ص 58-59.

الاجتماعية الأخرى، وعن طريقهم أيضا انتشرت بيننا عادات استهلاكية كثيرة وطرق تعامل وأنظمة لهو ومفاتن لم تكن على عهد بها.[1]

ب- **الإرساليات الغربية:** تشمل هذه الإرساليات كل ما احتجنا إلى الاستعانة به من خبرات في مختلف المجالات مثل الخبرات العسكرية، وخبراء النفط، ومستشاري التعليم، وفنيي الصناعات وغيرهم، وتشمل كل ما قدم إلى عالمنا من شركات أجنبية أيا كان نشاطها الذي تزاوله، فهذه الشركات هي مؤسسات غربية تمارس أدوارا متعددة، فإلى جانب عملها المهني تؤدي دورا استعماريا وسياسيا وفكريا، وتشمل الإرساليات الغربية أيضا البعثات الدبلوماسية الغربية في دول العالم الشرقي وما يتبعها من موظفين عمال، وأنواع الإرساليات هذه قد حملت معها الكثير من المستلزمات الجباتية التي لم نكن نعرفها، وتطلب التعامل معها نوعا من العلائق والمعاملات الرسمية وغير الرسمية يختلف كثيرا عما تعودنا عليه من علائق وارتباطات.

- وهكذا سار تأثير هذه الإرساليات عبر خيوط مختلفة ليلتقي في النهاية مشكلا تغييرا جوهريا في سلوكياتنا ومجريات تفكيرنا، وليساهم بعد ذلك في إحداث جيل لا يقدر إلا كل غربي، ولا يهوي إلا ما له علاقة بالغرب، وهنا قد يقول قائل لماذا لم نحدث تأثيرا في مجتمعاتهم بإرسالياتنا كما فعلوا؟ وهنا أعود لأذكر بعامل القوة والغلبة الذي أشرت إليه من قبل.

ت- **المؤسسات التنصيرية:** لا يوجد مكان في العالم الشرقي إلا غزته الإرساليات التنصيرية، وأقامت فيه مؤسسات طبية وتعليمية متعددة، وهذه بدون شك كانت مراكز علنية تستغل حاجة الإنسان لإحداث التغيير العقائدي الذي هو وسيلة لإحداث بقية التغييرات في شخصية الانسان الشرقي، لقد لعبت الإرساليات التنصيرية أدوارا رئيسية في التسلل إلى مؤسساتنا التعليمية في شكل مستشارين تربويين أو مخططي مناهج أو موجهين أو غير ذلك، وقامت بدور كبير أيضا في التأثير في سياسات الكثير من الدول وخاصة الفقيرة منها، واستطاعت من الدخول إلى المجال الإعلامي بما أنشأته للعالم الشرقي، واستطاع المنصّرون من خلال أساتذتهم المستشرقين أن يلونوا الحياة الشرقية

[1]- ينظر: محمد فتح الله الزّيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، ص60-61.

بكل ما يريدون التكون المحصلة في النهاية التغريب بكل صوره وأشكاله أو الاستغراب بمعناه السلبي فقط[1]

-موقف المشارقة من الاستشراق:

- انقسمت نظرة المشارقة، وخاصة المسلمين منهم، تجاه الاستشراق إلى وجهات متعددة تحكمت فيها عوامل متباينة واتجاهات مختلفة، ويمكن إجمال المواقف الشرقية تجاه الاستشراق في النقاط التالية:

موقف العدائية والحذر: ومحتوى هذا الموقف يمكن في أم ما يصدر عن الغرب هو في موقع الصراع الديني والعرقي، فالمستشرقون لا يمكن /حسب تصور هؤلاء/ أن يكونوا منصفين لأنهم يخرجون من مجتمع معاد للإسلام والمسلمين، مجتمع له مصالحه في ديار الإسلام، ولذلك فإن نتاجهم الثقافي لا يمكن أن يكون إلا خادما لهذه المصالح مؤكدا على حتمية الصراع، ومن هنا جاءت العدائية المطلقة لكل نتاج استشراقي، فالتوجس والريبة والشك والخوف هي أساليب التعامل مع هذا النتاج، وفي اعتقادنا أن هذا الموقف على الرغم من عدم موافقتنا الكاملة عليه إلا أنه تدعمه مسببات متعددة أهمها:

- **روح الكراهية** التي سببتها الصراعات الدينية والسياسية التي مر بها التاريخ الإسلامي والموقف الغربي منه، فهذه الصراعات كانت سببا في تأسيس روح الكراهية لكل ما هو غربي عند كل مسلم، ولما كان الاستشراق جزءا من هذا الكيان المسمى "غرب" فإن حساسية الماضي تقف وراء كل نظرة غير علمية له.
- **الدور الاستعماري لحركة الاستشراق:** وهو الدور الذي قام به المستشرقون فعلا أثناء الحملات الأوروبية على ديار الشرق، حيث ثبت تاريخيا أنهم ساعدوا المستعمرين ومهدوا لحملاتهم

[1]- ينظر: محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، 62.

تجاه الشرق، وهذا بالطبع كان له أثره الكبير في تكوين هذا الموقف العدائي، فقد اعتبر الاستشراق طرفا في الصراع وكان الأجدى أن يعتبر في موقف الحياة على الأقل.

- **اقتران الاستشراق بالتنصير**: فالمؤسسة المسيحية بإرسالياتهم المتنوعة استعانت كثيرا بالاستشراق في تكوين الكوادر التنصيرية ومداها بالمعلومات المختلفة حول العالم الإسلامي، هذه المعلومات التي هي بالطبع ستستخدم في تنصير المسلمين وإفساد عقيدتهم، وهذا بكل تأكيد أثر في موقف المشارقة ودفعهم إلى معاداة الاستشراق والحذر منه.
- التزييف العلمي الذي مارس الاستشراق في حالات عديدة، وهو كما نعلم تمثل في ذلك النوع من الإنتاج الاستشراقي المزيف للتاريخ الإسلامي والمشوه للحقيقة الدينية عند المسلمين، فالكتابات الاستشراقية الكثيرة التي على هذه الشاكلة كانت سببا في إذكاء روح العدائية عند الشرقيين تجاه الاستشراق.

– وليس هذا الموقف بصحيح على إطلاقه، فعلى الرغم من وجود ما يبرره من الأسباب سالفة الذكر إلا أنه يعتبر غير علمي وغير دقيق، وذلك لأنه في موجة هذه العدائية تتناسى جهود بعض المستشرقين المنصفين للإسلام والمسلمين، وتتناسى جهود نقر آخر عرفوا بالإنصاف العلمي وتتبع الحقيقة العلمية دون اقترانها بالدين ودون تأثر بثقافة مجتمعاتهم، وتتناسى أيضا جهود بعضهم مما كانت له عناية بالتراث الإسلامي حفاظا ونشرا وتحقيقا وترجمة رغم ما يقال عن دواعي وأسباب ذلك، فتناسي مثل هذه الجهود يعتبر ظلما لجزء من حركة الاستشراق لا زال يفرض نفسه إلى الآن، ولذلك فإن هذا الموقف العدائي لا يمثل كل الشرقيين، بل هو أقرب إلى تمثيل أولئك الباحثين والمفكرين التقليديين الذين انطلقوا من مؤسسات دينية، ولم ينفتحوا على ثقافة الآخرين، ولم يطلعوا على كل النتاج الاستشراقي، لانعدام وسيلة الاطلاع عليه وهي اللغة، وربما تشكل الحساسية الدينية أبرز العوامل في تأجيج روح العداوة هذه، على الرغم من أن عداوة الاستشراق قد تأتي حتى من

تلاميذه، كما هو الحال عند إدوارد سعيد، إلا أن ما تقصده هنا هو سيطرة الدوافع الدينية على البعض لدرجة لإنتاج معها الفرصة لظهور النتاج الاستشراقي الجيد. [1]

الموقف المعتدل: وهو الموقف الذي يرى الاستشراق من زاوية التبادل المعرفي والثقافي بين الشعوب، وعلى الرغم من تأثر أصحاب هذا الرأي بالجناب الديني، ومعرفتهم بالدور الاستعماري الذي عليه الحركة الاستشراقية إلا أنهم لا يعارضون الاستشراق، وينطلق شكرهم للاستشراق من هذه الزاوية، كما أنهم ينبهون إلى كل المنافذ التي ينطلق منها الاستشراق في سبيل تحقيق أهداف شخصية واجتماعية بعيدا عن الحقيقة العلمية، ومن رواد هذا الموقف المرحومان عباس العقاد ومالك بن بني، ولعل سبب تعقل أصحاب هذا الموقف والتزامهم جانب الموضوعية والعلمية ما يلي:

أ- الانتفاح الثقافي والمعرفي على نتاج الكثير من الشعوب والأمم، وهو أمر له أهميته في تكوين الاتجاهات الفكرية، فمعرفة أصحاب هذا الاتجاه للغات الشعوب الأوروبية هو الذي دفعهم إلى التعرف على قدر كبير من نتاج المستشرقين ومن ثم إعطاؤهم حقه دون تجن، والرد على سقطاته بكل علمية وموضوعية.

ب- الاتجاه العقلاني الذي عليه أصحاب هذا الموقف حيث لم تتمكن منهم العواطف لتسيرهم في مسارات قد لا تكون علمية، حيث إنهم على استعداد لقبول الحقيقة العلمية من أي مصدر كانت، فهم يقبلون الكثير من الحقائق التي يقول بها المستشرقون في إطار علمي، ويرون عدم تعارضها مع معتقداتهم الدينية، لأن الإسلام في حد ذاته يعتبر حقيقة علمية، وكل ما جاء به إنما هو تأكيد للحقيقة العلمية، ولذلك فالحساسية الدينية غير واردة عند هؤلاء بقدر ما تبرز الحساسية العلمية عندهم بشكل واضح. [2]

[1]- ينظر: محمد فتح الله الزّيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، ص 63-64.

[2]- ينظر: محمد فتح الله الزّيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، ص65.

4-المدارس الاستشراقية:

الاقتراض المبدئي هو أن الاستشراق يغلب عليه أن يكون ذا طابع واحد وخصائص مشتركة مهما اختلفت البيئات الأوروبية وتعددت، فما تناولناه من الأهداف والدوافع والوسائل يمكن أن يصدق على كل المستشرقين أينما وجدوا، وذلك أن هذه الظاهرة هي في الغالب مؤسسة غربية ذات طابع تكاملي تتفق فروعها في مجالات متعددة وإن اختلفت في بعض الاهتمامات أو الميول، وهذا الأمر هو الذي دعانا إلى محاولة تحقيقه علميا لنتبين ما إذا كان اختلاف البيئات الأوروبية مؤثرا في صبغ الاستشراق فيها بلود معين قد اختلف كثيرا عن البيئة الأخرى.

والحقيقة أن هذا الموضع يعتبر بالغ التعقيد نظرا لقلة المصادر التي تناولته، وحتى الذين أرخوا للاستشراق لم يتطرقوا إليه، بل أنصب اهتمامهم على تناول أبحاث المستشرقين نقدا أو تحليلا أو إعجابا، اللهم إلا ما فعله الهراوي الذي قسم المستشرقين إلى مدارس ثلاث:

- مدرسة تختص بمباحث القرآن الكريم.
- مدرسة تتعلق بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
- مدرسة تختص بالتاريخ العربي والإسلامي.

وهذا التقسيم لا يمكن الاعتماد عليه، لأنه يتعامل مع الاستشراق على أنه يهتم فقط بما يتعلم بالإسلام والمسلمين دون غيرهم، وهذا أمر لا يمكن التسليم به، لأن الاستشراق مجال أوسع يشمل الاهتمام بالشرق عموما سواء أكان إسلاما أم غيره وسواء أكان إسلاما أم غيره وسواء أكان دينا أم لغة أم أي أمر آخر[1]

وممن اهتموا بهذا الموضوع أيضا نجيب الحقيقي الذي عقد فصلا خاصا به في كتابه المستشرقين في طبعته الأول، واهتم في هذا الفصل بتوزيع الاستشراق إلى مدرستين هما:

[1]- ينظر: أحمد سمايلو فيتش، تفسلفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي، ص 219.

- المدرسة السياسية التي تبحث في الأدب بمفهومه العام.
- المدرسة الآثرية التي تهتم بالآثار.

وفي هذا الإطار يبرز أيضا اسم يوسف داغر في كتابه (مصادر الدراسة الأدبية) الي أسهب في الحديث عن هذا الموضوع متخذ التوزيع الجغرافي أساسا للتقسيم ومركزا على ذكر خصائص ومميزات كل مدرسة، ولكن الذي يؤخذ عليه أنّه بالغ في إضفاء صفة العلمية والموضوعية والمنهجية على بعض المدارس.

وبالتالي واعتمادا على ما سبق فإنه يمكن توزيع الاستشراق إلى مجموعة مدارس أن أي صفة لمدرسة من المدارس إنما تصدق عليها بنسبة كبيرة وليست شاملة أو قطعية.

أ /المدرسة البريطانية:

الصلات بالشرق:

تعتبر صلات الإنجليز بالشرق قديمة جدا ترجع إلى سنوات ما قبل الإسلام، حيث يذكر البعض أن علاقات قامت بين ايرلندا والشرق منذ منتصف القرن الثالث الميلاد، وذلك حين ذهب بعض الرحالة الرهبان الى مصر وسوريا و فلسطين في طريقهم الى الأراضي المقدسة ، ورغم وجود هذه الرحالات المبكرة جدا إلا أنه لم تظهر كتابات الإنجليز حول الشرق الا في القرن الأول للهجرة عندما كتب ويلبلاد حول رحلته الى البلاد العربية ثم تبعه بقية الحجاج التجار و غيرهم[1].

وهناك بعض الملامح للاستشراق البريطاني نحملها في الآتي:

- انطلاق الاستشراق البريطاني من دوافع ذاتيه تمثلت في اتصال العلماء البريطانيين بالأندلس وصقلية لتعلم اللغة العربية والاطلاع علة الفلاسفة اليونانية من خلال ماترجم منها في العربية ، ثم تطورت هذه الدوافع بعد ذلك الى دوافع دينية كان الهدف منها تنشيط حركة الإرساليات التنصيرية

[1]- ينظر ميشال حجا ،الدراسات الغربية والإسلامية في اروبا ، ص27

بتعلم اللغة العربية وبعض العلوم الدينية وأخيرا تبرز في الاستشراق البريطاني الدوافع الاستعمارية التي ظهرت أثناء اتصال الانجليزي بالشرق غازين محتلين.

- لعب الهدفان التنصيري والاستعماري دوا بارزافي مسيرة الاستشراق البريطاني.
- ركز دراساته على اللغة العربية مايتصل بها من أدب وبلاغة وتقد وغيرها من العلوم الأخرى التي لها علاقة بها.
- تركزت أبحاثه و اهتماماته حول الهند و مصر وبعض بلاد الشام.
- تعتبر جامعتا كامبردج وأكسفورد أهم مكانين نشأ و ترعرع فيهما الاستشراق البريطاني.
- انخرط بعض المستشرقين الانجليز في السلك العسكري و الدبلوماسي وعملوا ضباطا او مستشارين في وزارتي الخارجية والمستعمرات البريطانية من هؤلاء ريتشاد دورتون و واطسون نورمان دانييل وغيرهم.
- أثر اكتشاف النفط في بعض البلاد الشرقية في ازدياد الاهتمام البريطاني بالعالم الشرقي، وبالتالي ازدياد المعاهد والمؤسسات الى تغني يتعلم ودراسة اللغات الشرقية وعلي رأسها اللغة العربية.
- وصل عدد من أفراده بطريقة او بأخرى الى المجامع اللغوية العربية كأعضاء فاعلين فيها ومن هؤلاء مرجليوث ونيكلسون والفريد غليوم.[1]

[1]- ينظر محمد فتح الله الزيادي ، الاستشراق أهدافه وسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون ، ص 73-74.

ب/ المدرسة الألمانية:

الصلات بالشرق:

تعتبر ترجع صلة الألمان بالشرق الى القرن العاشر الميلادي ، وذلك عندما أرسل الإمبراطور الألماني اوتو كاهنا يدعي يوحنا سفير الدي الخليفة الناصر، و كان ذلك في سنة 956 وأرسل الخليفة الناصر بدوره احد القساوسة من رعاياه سفير عند الإمبراطور الألماني[1]

أما أول من عني من الألمان بتدريس اللغة العربية فكان المستشرق كرستمنا (1554-1613) وذلك عندما وضع كتابا لتعليم الحروف العربية وكيفية كتابتها[2] ثم تتابع بعدها المستشرقون الألمان في الاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية وهناك نقطتان جديدتان بالاهتمام يثيرهما كثير من الباحثين الذين تعرضوا الدراسة الاستشراق الألماني وهما:

1- أن الألمان لم يكن لهم مستعمرات في البلاد العربية ولذلك بجا مستشرقوهم من الخضوع للسياسة.

2- أن الألمان لم يحاولوا التنصير ولذلك نجا مستشرقوهم من العبث بالتاريخ الإسلاميومن ملامح الاستشراق الألماني ما يلي:

- اتصف المستشرقون الألمان وبالثقافي في العمل والصبر والمثابرة فمنهم من فق بصره مثل وستنفلد ومنهم من أفني عمرها باحث ومنقبا ودراسا حتي أن يوهام رايسكد ستي شهيد الأدب العربي.

يقول أحمد أمين وقد عرف الألمان بدقة البحث والصير عليه والاستطاعة العجيبة في أن يؤلفوا بين أجزائه المتنافرة وأن يصلوا منها الي ادق النتائج وأعمقها [3].

---

[1]- ينظر ،ميشال حجا الدراسات الغربية والإسلامية في أوروبا ، ص75.

[2]- ينظر ،صلاح الدين المنجد المستشرقون الألمان، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1982، ص7.

[3]- ينظر ،ميشال حجا الدراسات العربية والإسلامية في أوربا ، ص 184.

- من أهم مميزاته الاهتمام بالقديم فالسمة الملاحظة عليه في التركيز الكبير او مجمع علمي ما أخرجه مستشرق واحد[1].
- أهتم الاستشراق الألماني أكثر من غيره بفهرسة المخطوطات العربية والإسلامية وطال عمل المستشرقين في ذلك حتى إن بركلمهان مثلا استغرق نصف قرن في وضع كتابه تاريخ الأدب العربي[2].
- وصل بعض أعضائه إلى عضوية المجامع اللغوية العربية.
- أهتم بالبحث على الآثار والتنقيب عنها، وأنشأ لذلك معاهد في بعض البلاد العربية وخاصة بيروت والقاهرة وبغداد.
- تتلمذ كثير من مشاهيره على يد المستشرق الفرنسي دي ساسي ومن هنا يمكن تلمس الأثر الديني الذي طرأ علية الاستشراق الألماني.

ج/ المدرسة الإيطالية:

الصلات بالشرق:

تعتبر أيطاليا ذات صلة كبيرة بالشرق منذ القدم او يرجع بعض الباحثين هده الصلة الى فترة ماقبل الميلاد، ودلك نظرا لقرب إيطاليا جغرافيا من بعض البلاد العربية افريقيا، وعندما فتح العرب صقلية توطدت هذه الصلة بين إيطاليا والعالم الإسلامي ثقافيا وخاصة في عهد المالك روجار الأول[3] وحفيده فريد ريك الثاني، حيث كان بلا طعما كعبة للعلماء والمثقفين من كل البلاد الشرقية، وكان لوجود الفاتيكان في إيطاليا اثر كبير في توطيد الصلة بينها وبين البلاد الشرقية نظرا لمايوليه الفاتيكان من أهمية كبيرة جدا في التبشير بالدين المسيحي و محاولة تنصير الشرقين في كل مكان.

[1] – ينظر صلاح الدين المنجد، المستشرقون اللألمان، دار الكتاب،ج1 لبنان، ط1، 1978.

[2] – ينظر ادوارد سعيد ، استشراق ، ص 53

[3] – ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق، ص53.

هذا ولم يظهر الاهتمام الرسمي لإيطاليا بالدراسات الشرقية الا منذ القرن الحادي عشر عندما بدأت الجامعات الايطالية في الاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية وابتدأت هذه الدراسات في جامعة ناجولي سنة 1076 م ثم تبعتها بقية الجامعات الأخرى ومن بعض ملامح الاستشراق الإيطالي مايلي:

- كانت فترة الحكم العربي لصقلية تمثل اغراء كبير للمستشرقين الإيطاليين في التخصص في الجوانب الإسلامية والعربية التركيز عليها، ونظرة على مؤلفات كايتاني و سانتيلانا و نللينو ومكنجلو جودي[1] وغيرهم تعطي دلاله واضحة على ذلك.

- تمكن بعض أعضائه من الرحيل إلى المشرق والعيش فيه والتدريس في جامعاته وخاصة مصر، وقد تتلمذ عدد من قادة الفكر العربي عليهم، على سبيل المثال طه حسين الذي درس على يد المستشرق تللينو.

- تمكنبعض المستشرقين الإيطاليين من نيل شرف العضوية أكثر من مجمع علمي و قت واحد و من هؤلاء كاربو نللينو و فراتشيسكو غير بالي وانيا تسوجودي وغيرهم.

- ساهم بجهد متواضع في نشر التراث الإسلامين والاهتمام به حفاظا و فهرسة وتحقيقا.

- تميز الاستشراق الإيطالي من غيره بوجود الكثير من المستشرقات اللاتي اسهمن بجهد وافر في مجال الدراسات الشرقية، ومن هؤلاء ماريا نلليو واولجابنتو وانجيلا كوداتري وباننا ([2]) وغيرهن كثير.

- لا يكاد يوجد له اثر واضح في غير الدائرة العربية ، أي أنه لم يهتم بأجزاء الشرق الأخرى وخاصة اشرق الأقصى.

[1] – ينظر،مبشال حجا، الدراسات العربية ، ص97.

[2] – ينظر، العقيقي، المتشرقون، ج1،ص400-403.

- اهتم بإنشاء كراسي الدراسة الشرقية والمعهد الشرقية المتخصصة والمجلات والمعارض التي تهتم بالشرق، وكذلك اسم مجموعة من المراكز الثقافية في مجموعة من الدول العربية.

د/ المدرسة الفرنسية:

الصلات بالشرق:

تعتبر صلة الفرنسيين بالشرق إلى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي حينما غزا العرب المقاطعات الفرنسة وازدادت هذه العلاقة وتوطدت بوجود الدول الإسلامية في الأندلس، ثم بجملة نابليون على مصر و أخيرا باحتلال فرنسا الكثير من البلاد الشرقية.

- علاقة فرنسا بالشرق كانت ولاتزال علاقة قائمة على التطاحن وعلى مصالح فرنسا في الشرق وما يعود عليها من جراء تعاملها معه، ولقد تعاظهم اهتمام الفرنسيين بالشرق منذ ان تعاظم الدور البريطاني في الهند، ذلك الدور الذي الهب حماس الفرنسيين و جعلهم يبحثون عن دور مماثل في مواقع أخرى من ذلك الشرق المترامي الأطراف، ونتيجة لذلك تمت الدراسات الاستشراقية في فرنسا وتطورت يوما بعد أخر.

- بعض ملامح الاستشراق الفرنسي:

- تتركز دراساته حول ثلاثة محاور وهي:

- المحور الديني.
- المحور السياسي.
- المحور الاستعماري.

- له أثر كبير في توجيه الاستشراق الالماني والانحراف به نحو منعرجات دينية وسياسية و يبرز ذلك من خلال تتلمذ الكثير من المستشرقين الألمان على مستشرقين فرنسيين تخص بالذكر منهم فرايتاج و غلوجل و فلايشر[1].

[1]-ينظر ،العقيقي، المستشرقون، ج2، ص 701-707.

- يعتبر معهد اللغات الشرقية الذي أسس سنة 1195 م أهم مكان ترعرع فيه الاستشراق الفرنسي.
- كان لجامعة السوربون ذات الشهرة العالمية اثر واضح في تنشيط الدراسات الشرقية في الشرقية في فرنسا.
- أسس كثير من المعاهد والمدارس والمراكز الثقافية في بلاد الشرق الى كان لها تأثير كبير في فرنسة عدد من هذه البلاد خاصة التي استعمر ت قبل فرنسا.
- يمتاز الاستشراق بالتخصص، أي إن معظم أفراده تخصص كل منهم في جانب معين من جوانب البحث و الدراسة.
- نشأت معظم الجامعات والمعاهد الفرنسية الى تعني بالدراسات الشرقية بجهود رهبان وقساوسة وتولي هؤلاء إدارة الأمور فيها.
- من مميزاته انه قام بفهرسة الكثير من الكنوز الشرقية من مخطوطات ووثائق وغيرها سواء من كان منها في فرنسا او في غيرها من البلاد التي و قعت تحت الاستعمار الفرنسي.

د/ المدرسة الروسية:

الصلات بالشرق: على الرغم من أن روسيا تعتبر شرقية الملامح اجتماعيا وثقافيا و حضاريا وخاصة القسم الأسيوي منها، إلا أن معظم الباحثين يعتبرونها خلاف ذلك، أي ان لها مستشرقين لايختلفون كثيرا عن مستشرقين البلاد الأخرى، خاصة إذا اعتبرنا ان الجانب الإلحادي في روسيا يمثل خطوة على الإسلام أكثر من تلك الخطورة التي يمثلها الاستشراق المسحي، وعلى أساس ذلك اعتبرنا ان الاستشراق الروسي يمثل ملامح خاصة جديرة بان تضعه احد المدارس الرئيسة في هذا الميدان.([1])

- بعض ملامح الاستشراق الروسي:

[1]- ينظر: محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، ص 87-89.

- ترجع اهتماماته بالدراسات الشرقية الى فترة قديمة و لكنها لم تبدأ رسميا الا في العقود الأولى للقرن التاسع عشر.

- بدأ الاستشراق الروسي في الاهتمام باللغات الشرقية قبل الثورة البلشفية، وكان للاستشراق الألماني دور واضح في تكوينه.

- اهتم كثيرا باللغات دون غيرها من العلوم الأخرى، وخص بالدراسة لغات آسوية لم يهتم بها الاستشراق الأوربي كثيرا وذلك مثل التركية والصينية والمغولية والارمينية والكردية والفارسية وغيرها.

- كان للوجود الإسلامي في بعض مناطق الاتحاد السوفيتي اثر واضح في مد الاستشراق فيها بمادة سخية للبحث والتحليل، وخاصة ما خلفه من مخطوطات كثيرة بالعربية أو بالروسية لازالت تكتشف الى اليوم، وفي هذا المقام يجب ان نذكر اعلام المسلمين في تلك المناطق كالخوارزمي والبيروني وابن سينا والغارابي.

- نظرا لكثرة المخطوطات الإسلامية في روسيا فقد اهتم المستشرقون الروسي بفهرستها ووصف كل الاثار القديمة، ومن ابرز المفهرسين ايفانون ورواماسيكفيتش.

- للاستشراق الروسي نشاط واضح في إصدار المجلات الشرقية والمتخصصة، ولازالت مجموعة منها تصدر إلى الآن، ونذكر من المجلات الاستشراقية الروسية مجلة الرسائل وعلم الإسلام، والآداب العالمية، والحوليات الشرقية.

- تتلمذ كثير من أعلامه في فرنسا وخاصة على مستشرقها الكبير دي ساسي.

- ليس له اهتمام واضح بالدراسات الإسلامية اذا ما قورن بغيره من الاستشراق الأوربي.

- للاستشراق الروسي مساهمات واضحة في دراسة اللهجات نتج عنها دراسات متعدة في لهجات مختلفة.

و/ المدرسة الإسبانية:

الصلات بالشرق: تعتبر اسبانيا اقوى دول أوروبا صلة بالشرق، لقربها الجغرافي منه أولا، ولاحتضانها أروع وأعظم حضارة أسسها العرب خارج ديارهم دامت قرابة خمسة قرون كانت من القوة بحيث تركت اثارها في الحياة الاسبانية على مختلف الأصعدة حتى يومنا هذا فالأثر العربي يبرز في كل مرفق من مرافق الحياة الاسبانية ابتداء بالأشكال الهندسية المعمارية، ومرورا بالعادات والتقاليد او انتهاء بالمكتبات العربية التي تمتلئ بنتاج العقل العربية الإسلامية في مختلف العلوم، التي كانت لاتزال الأساس المرجعي الذي انطلق منه العرب في بناء حاضرتهم.

ومن كل ذلك نجد الاهتمام الاسباني بالشرق أمر طبيعيا يحتمه الواقع التاريخ الذي مرت به اسبانيا والذي خلف وراءه مادة علمية كبيرة.

ومن بعض ملامح الاستشراق الاسباني مايلي:

- الدافع العلمي هو المحرك الأول للاستشراق الاسباني، فالرغبة في تعلم اللغة العربية من اجل دارسة وترجمة الكتب العربية كانت السبب الرئيسي في اقبال الانسان على حقل الاستشراق، وإلى جانب ذلك يبرز الدافع الديني المتمثل في المستشرقين الرهبان الذين يشكلون تيارا مهما في ميدان الاستشراق الاسباني.

- يكاد الاستشراق الاسباني أن يكون مشابها للاستشراق الألماني في التركيز على التراث العلمي العربي، والاهتمام به حفظ وفهرسة وتحقيقا ونشرا و لعله امتاز عنه بامتلاك جزء كبير من هذا التراث في المكتبات الاسبانية.[1]

[1] – ينظر: محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، ص 92 – 93.

- له نشاط ملحوظ في ترجمة الكتب العربية ونشرها وهو الامر الذي كان له الى جانب الاستفادة العملية الأوروبية اثر في تعريف الانسانية بالفكر العربي الإسلامي ومن اشهر المترجمين اميلو فرسيا غومث.

- شهد الاستشراق الاسباني نشاطا كبيرا في القرن التاسع عشر وما بعده وكان ذلك بسب الاقبال الكبير للباحثين الاسبان على ميدان الدراسات الشرقية الذي جذبهم اليه وفرة المخطوطات العربية إلى ضمتها المكتبات الاسبانية.

- الفلسفة والأدب والتصدق والتاريخ ابرز الميادين التي ركز عليها المستشرقون الاسبان وانتجوا فيها مؤلفات كثيرة، ومن البارزين في هذه الميادين بلاسيبوش وريموندو و الابداريو.

- يعتبر المعهد الاسباني العربي للثقافة الذي يديره المستشرق اسين بلاسيوش واحد من أهم مكانين نشط فيهما الاستشراق الاسباني كما تعتبر مكتبه الاسطوريال أهم المكتبات التي انطلق منها، وذلك لما تحويه من نفائس التراث العربي الإسلام.

- ليس للاستشراق الاسباني مساهمة واضحة في الأمور السياسية والاستعماري كما هو الحال لدى غيرهم من مستشرقي البلدان الاوربية الأخرى.

– أسماء بعض المستشرقين وأهم مؤلفاتهم وأعمالهم:

1–توماس اربنيوس : ولد توماس اربنيوس سنة 1584 م في جوركوم ، ودرس اللاهوت في مدينة لايدن. وكان سكاليجة قد أسدى له النصح لدراسة العربية ، وقد قام سكاليجة بترجمة وشرح 176 قولا لكنه توفي في سنة 1609م ، وقد حل اربينوس محل صاحبه بعد وفاته في اصدارها وكان ذلك في سنة 1615م تحت اسم (كتاب الأمثال). وقد توصل إلى أن المخطوط يرجع إلى كاتب غير متعلم، واستبدل اعجامه بحسب قواعد النحاة العرب والقرآن الأنموذج، كما أنه وجد الكثير مما يجب تصحيحه في ترجمة سكاليجة .

– بعد كتابه في قواعد اللغة ،أصدر اربنيوس في سنة 1614 المئتي مثال عربي الذي سبقت الإشارة إليه، إن اربيوس الذي لم يقرأ نصا قديما باستثناء القران بالطبع،أعتقد انه سيتعرف فيها إلى ترجمة قديمة من الفارسية،وان كان خامره الشك ،بأن الأمر قد يتعلق بعمل حديث،وهكذا فقد ظل يعتقد ،بان أسلوب وتعبير هذه الأمثال رشيق جدا.[1]

2- **مونتاني**: مستشرق فرنسي كان أستاذا في الكوليج دي فرانس،ومديرا لمركز الدارسات العليا للإدارة لإسلامية ولمجلة ، **L'ofrique et l'osie** وغني بالدراسات الاجتماعية المتصلة بشمالي افريقية والشرق الأدنى، وكان أول مدير للمعهد الفرنسي بدمشق ويعد من كبار المختصين في الدراسات الاجتماعية المتعلقة بالبربر توفي عام 1954م.

3- **مورتش**: مستشرق ألماني عمال أمين مكتبة لسمينار برلين فترة طويلة، وصار في 1892 م مدير الدار الكتب المصرية بالقاهرة واستخرج من مخطوطاتها 188لوحة فوتوغرافية تمثل مختلف الخطوط واصدرها في مجلد بعنوان "الخطوط العربية" وتجوّل في العالم العربي كله من العراق حتى مراكش واهتم بالجغرافيا التاريخية، ومن ثمار هذا الاهتمام اصدر في 1923 كتابا عن "جزيرة العرب" فيه دراسات ثمينة عن الجغرافيا الطبيعية والتاريخية لشبه الجزيرة العربية، وذلك دون أن يعلم شيئا عن الكتاب الذي أصدره فيلبي بعنوان "قلب الجزيرة العربية" وفي نفس الوقت.

– واصدر مورتش في 1892م مجموعة من الكتابات العربية المأخوذة من عمان وزنزبار [2].

4- مرجليوث: انجليزي متعصب ضد الإسلام و من محرري"دائرية المعارف الإسلامية" كان عضوا بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي في دمشق و من كتبه:

- التطوراتالمبكرة في الإسلام، صدر سنة 1923.
- محمد ومطلع الإسلام،صدر سنة 105م

[1] – بوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا في بداية القرن العشرين،تر: عمر لطفي العالم، دار المدار الاسلامي، ط2، 2001م، ص67-72.

[2] – ينظر عبدالرحمن بدوي المسشرقين،دار العلم للملايين بيروت ،ط3 ،.1993م ص575-577.

- الجامعة الإسلامية، صدر سنة 1912م [1] .

5- **فيليب حتي**: لبناني مسيحي، كان أستاذا بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا ثم رئيسا لهذا القسم، من ألد أعداء الإسلام، ويتظاهر الدفاع عن القضايا العربية في أمريكا وهو مستشار غير رسمي لوزارة الخارجية الأمريكية في شؤون الشرق الأوسط، يحاول دائما ان ينتقص دور الإسلام في بناء الثقافة الإنسانية، ويكره أن ينسب للمسلمين أي فضل، فقد كتب على سبيل المثال،"دائرة المعارف الأمريكية" طبع سنة 1948 تحت عنون "الأدب العربي" و محاولات حتى انتقاص فضل الإسلام المسلمين ليست فقط قاصرة على العصر الحديث، و لكنها تنطبق على جميع مراحل التاريخ الإسلامي كما هو موضح في كتبه التي نذكر منها:"تاريخ العرب" ظهر بالانجليزية، وأعيد طبعه عدة مرات، و هو مليء بالطعن في الإسلام والسخرية من نبيه، وكله حقد وسم كراهية.

- "تاريخ سوريا"
- "أصل الدروز وديانتهم" مدرسة 1928م[2]

[1] - ينظر: مصطفي السباعي، الاستشراق والمستشرقون،(مالهم وماعليهم)، ص47.

[2] - ينظر مصطفي السباعي، الاستشراق والمستشرقون (مالهم و ما عليهم) ص 43-44.

الفصل الثاني

الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق

1-تجليات الاستشراق عند إدوارد سعيد

يعود بنا إدوارد سعيد في كتابه هذا إلى تاريخ وسبب ظهور ظاهرة الاستشراق حيث يقول: "كان الاستشراق يمثل استجابة للثقافة التي أوجدته أكثر من استجابته لموضوعه المفترض، وهو الذي أنتجه العرب أيضا، وهكذا فإن تاريخ الاستشراق يتسم باتساق داخلي وبمجموعة بالغة الوضوح والتفصيل من العلاقات مع الثقافة السائدة المحيطة".

وهو ما يعود بنا إلى الأسئلة التي استقاها الكاتب من خلال المخطوطات التي تركها المستشرقون الأوائل، بدءاً من القرن (17م)، التي يقول أنها تعيد نفسها بشكل أواخر، من خلال التكرار الذي يعود في دراسات المستشرقين الجدد، ويقول: "إن مشروعي هو وصف نظام فكري خاص، لا أن آتي على الإطلاق بنظام جديد يحل محله ... إنني أحاول أن أطرح مجموعة كاملة من الأسئلة المتصلة بالموضوع أبرزها: كيف يقدم المرء صوراً تمثل ثقافات أخرى؟"[1].

في حين طرح المترجم محمد عناني في نسخته عن كتاب الاستشراف إشكالا مقارباً لما سبقه بقوله: أي الأمرين أهم في الاستشراف؟ الأمر الأول هو مجموعة الأفكار العامة التي تتجاهل كمية المادة العلمية المتاحة، والتي تتخللها أفكار التفوق الأوربي، وشتى ألوان العنصرية، والإمبريالية، وكذلك الأفكار المتصلة عن الشرقي بصفته لونا من ألوان التجريد المثالي الذي لا يتغير، وبين الأعمال البالغة التنوع والتي كتبها عدد لا يكاد يحصى من المؤلفين المتميزين، الذين نستطيع أن نعتبرهم نماذج فردية للمؤلفين الذين تناولوا الشرق، ولماذا يتعذر استعمال لمنظورين معا، أو أحدهما بعد الآخر؟[2]، وهو ما حاول شرحه ومناقشته في مقدمة الكتاب.

وقد أقام "سعيد" الحجة، متبعا المنهج العلمي الحديث، مما جعل الغرب يقرأ ويقر له بصواب المنهج، ولو اختلف البعض معه في بعض ما انتهى إليه الكتاب.

---

[1]- نجوى الجزائري، لمحة كتاب الاستشراف، المفاهيم العربية للشرق، موقع روافد، تاريخ النشر، 08-03-221، تاريخ الإطلاع: 21-04-2021.

[2]- إدوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص، ص: 52-53.

فقد اعتبر هذا الكتاب بحثا نقديا يقوم على أسس فكرية صلبة، من دعائمها تبيان خداع ما يكتسي المظهر العلمي، وهو في حقيقته عنصري، مثل إطلاق صفة (شرقي) على كل من يرى فيه أبناء العرب اختلافا عن الحضارة العربية، وقد أتي بأدلة قاطعة على أن هذه النظرة لا تقوم أسس عملية.

فالاتساق العلمي في المنهج يرتبط بالاتساق الفكري، كما يبين "سيد البحراوي" في دراسته للمنهج، أي أن إدوارد سعيد يدين إلى حد ما في اتساق منهجه العلمي إلى الاتساق في موقفه الفكري، وهو ما نلحظه في عدد من أعماله مثل: (المثقف والسلطة، 1994م)[1].

2-عرض محتوى الكتاب:

وقد جعل إدوارد سعيد كتابة في ثلاثة فصول:

الفصل الأول للكتاب: نطاق الاستشراق

-معرفة الشرقي:

فموضوع المعرفة، أي الشرق، معرض للفحص الدقيق لضعف في طبيعته، فامتلاك مثل هذه المعرفة بمثل هذا الشيء معناه السيطرة عليه، أو فرض السلطة عليه، والسلطة هنا تعني لنا "نحن"، أي الإنكار باستقلالية هذا الشيء وهو البلد الشرقي، فحسب "بلفور" فإن إنجلترا تعرف مصر ومصر هو ما تعرفه إنجلترا، فإن مصر هنا لا تستطيع أن تحكم نفسها وهو ما تؤكده إنجلترا باحتلالها[2].

وأما ما أهتم به الإنجليز حقا، هو تلك الوصاية الغربية الشاملة والمتصلة الحلقات على بلد شرقي، بداية بالباحثين والمبشرين، رجال الأعمال والجنود إلى المعلمين، الذين مهدوا للاحتلال ثم نفذوه، وإنتهاءاً بكبار الموظفين.

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص،ص: 19-13.

[2]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 88.

ففي الوقت الذي سميت فيه هذه الشعوب بالشرقيين عند "فلور"، أطلق عليهم "كرومر" تسمية الأجناس المحكومة، فقد ذكر "كرومر" في كتابة "مصر الحداثة"، مقولة "لألفريد ليال" يقول فيها: "الدقة ببعضها العقل الشرقي، وعلى كل الإنجليز المقيمين في الهند أن يذكروا هذا دائما".

مما يجعل العرب والشرقيين بصفة عامة يسهل خداعهم، لافتقارهم للنشاط وروح المبادرة، كونهم مولعون فقط بالإفراط في المدح والتملق والتآمر والمكر، وانعدام التناسق، فرغم ما ارتقى به العرب القدامى من العلوم، إلا أن أحفادهم يفتقرون إلى ملكة المنطق عموماً، فأذهانهم الفوضوية تعجز عن فهم ما يدركه الأوربي الذكي، إضافة إلى الكذب التأصل فيهم عكس النبل الذي يتحلى به الجنس الأنجلو سكسوفي (العربي)، لتتشكل فكرة أن أي خروج عما يعتبر بالمعايير السلوكية، كان يظن به أنه شذوذ[1].

فالاقتصار على القول بأن الاستشراق تبرير منطقي للحم الاستعماري، معناه أن نتجاهل مدى تبرير الاستشراق للحكم الاستعماري وانطلاقه منذ البداية، لا بعد، حدث، فرأب البشر دوماً على تقسيم العالم إلى مناطق تتميز عن بعضها البعض، بسمات حقيقية أو متخيله والتحديد المطلق للشرق والغرب سنوات بل قرونا، شهدت رحلات استكشافية لا تحصى، وضروبا من التلاقي عن طريق التجارة والحرب، ليبرز عنصران مهمان في العلاقة بين الشرق والغرب في منتصف القرن الثامن عشر وهما:

- المعرفة المنهجية من الشرق في أوربا.
- القوة الأوربية الدائمة[2].

ومن وجهة نظر الكاتب فإن العالم مختلف، لكنه يخضع لتنظيم محكم، فله حدود قومية وثقافية ومعرفية تشكل اتساقه الداخلي، فالعالم الشرقي أصبح مفهوما، باكتسابه لهويته، ليس بجهود أبناء، بل بالجهود القائمة على العلم والمعرفة التي بدلها العرب لتحديد صورة الشرق، فمعرفة الشرقي التي

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص،ص: 91،95.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 96.

تولدت بالقوة هي ما أدى إلى خلق الشرق والشرقي، وعالمه، ليفترض العرب في القرنين التاسع وعشر والعشرين، أن الشرق وكل ما فيه يحتاج إلى دراسة تصحيحية من جانب العرب، وقد تزامت فترة التقدم الهائل في مؤسسات الاستشراق ومضمونه، تزامنا دقيقا مع فترة التوسع الأوربي الذي لا نظر له[1].

ففي تلك الفترة الزمنية اتخذت الأفكار الاستشراقية عددا من الأشكال المختلفة في الفترة ما بين القرنين (19م، 20م)، فالكتابات الكثيرة عن الشرق قد ورثتها أوربا من الماضي، أما أواخر القرن (18م)، فهي الفترة التي افترض أن الاستشراق الحديث قد بدأ فيها، لتحديد رؤية جديدة للعلاقة ما بين الشرق والعرب، والتي مثلها غزو نابليون لمصر عام (1798م)، فهو النموذج الصادق للاستلاء العلمي الحقيقي على ثقافة ما، من جانب ثقافة أخرى أقوى منها فيما يظهر، فيمثل هذه الخبرات التي أتاحها نابليون أدت إلى تحديد المعرفة بالشرق لدى العرب.

وهذا الشكل هو ما اتخذه الاستشراق في القرنين (19م) و (20م)، كما وقد شاع في تلك الفترة بين المستشرقين الطموح لصياغة مكتشفاتهم وخبراتهم، ونظراتهم صياغة تتناسب والمصطلح الحديث.

لتبدأ البحوث، ومن أمثلتها البحوث اللغوية لـ: "رينان"، للغات السامية سنة (1948م) مستعينا بالثقة والحجية، بنظريات النحو المقارن، وعلم التشريح المقارن، والنظريات العنصرية، وهي حقق لمذهبة في الاستشراق المكانة الرفيعة، كون جوهر الاستشراق هو التمييز المتأصل بين التفوق الغربي والدونية الشرقية[2].

ومن زاوية معنية أدت هذه الرؤية إلى خلق هذين العالمين بهذه الصورة، ثم عملت على ترسيخها، فكان الشرقيون يعشون في عالمهم، والغربيون يعيشون في عالمهم.

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص، ص: 97،98.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص،ص: 99،100.

-الجغرافيا الخيالية وصورها (اختفاء الصفات الرقية على الشرقي)

عرف إدوارد سعيد الاستشراق في هذا الجزء على أنه من مجال من مجالات البحث العلمي بالمعني الدقيق، في عين إعتبر العرب المسيحي أن الاستشراق قد بدأ وجوده الرسمي بالقرار الذي اتخذه مجلس الكنائس في مدينة "فيين" الفرنسية، بإنشاء سلسلة من الكراسي الأستاذية للغات الشرقية والمتمثلة في (العربية، اليونانية، العربية والسريانية)، في كل من باريس وأكسفورد، وبولونيا وأفينيون وسالامنكا.

لكن أي تناول للاستشراق يجب أن لا يتقصر على النظر أمور المستشرق المحترف وعمله، بل أن يشمل الفكرة نفسها، أي فكرة وجود مجال دراسي يقوم على وحدة جغرافية وثقافية ولغوية، عرقية تسمى الشرق، فالحدث عن التخصص العلمي باعتباره مجالا "جغرافيا"له، في حالة الاستشراق، دلالة واضحة، فليس من المحتمل أن يتصور أحد وجود مجال مناظر له يسمى الاستغراب، وهذه البداية وحدها قد تفصح عن خصوصية موقف الاستشراق بل وربما شذوذ موقفه[1].

فدارس الآداب الكلاسيكية أي اليونانية وللاتنية القديمة، ودارس اللغات الرومانسية أي اللفات الأصل الروماني، أو حتى دارس التاريخ والثقافة الأمريكية يركز بحثه في قسم متواضع من العالم، لا في نصف كامل من هذا العالم، لكن الاستشراق مجال يتسم بطموح جغرافي كبير.

في حين كانت القاعدة في تطوره التاريخي باعتباره مبحثا أكاديميا، هي توسيع طاقه لا زيادة الطابع الإنتقائي، فبصفة عامة كان المستشرقون حتى منتصف القرن (18م) من الباحثين في الكتاب المقدس، ودارسي اللغات السامية، والمتخصصين في الدراسات الإسلامية، أو بعد فتح البوعيون باب دراسة الصين، من المتخصصين في دراسة الصين، ولم يكن الاستشراق قد تمكن أكاديميا من فتح منطقة وسط آسيا الشاسعة، حتى أواخر القرن (18م)، وبحلول القرن (19م)، كان الاستشراق قد أصبح خزانة ذات أبعاد هائلة لكنوز من الدراسات العلمية[2].

---

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 110.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 111.

فالحدود الجغرافية تصاحب الاجتماعية والعرقية والثقافية بطرائق متوقعة، فقد كانت صورة الشرق في أوربا، منذ أقدم العصور تقريبا، تتضمن ما يزيد عما هيأته المعرفة التجريبية بالشرق فعلى نحو ما أوضح(ر.و. سدرن) أن أسلوب أوربا في تفهم نوع محدد من الثقافة الشرقية بدايات القرن (18م) والمقصود هنا الثقافة الإسلامية، يتسم بالجهل وإن كان مركبا من عناصر عديدة، فقد تجمعت دائما حول فكرة الشرق بعض المعاني التي تتراءى إلى الذهن حين يذكر الشرق، ففي مسرحية "الفرس" للشاعر "أسيخولوس" وهي أقدم مسرحة وصلت إلينا، صور لنا إحساس الفرس بالكارثة حينما علموا أن جيوشهم هزمت بقيادة (كسرى) على يد اليونان، بعدة أبيات أنشدتها الجوقة.

- ✓ باتت أراضي آسيا جمعها.
- ✓ في نعيها تحس بالخواء.
- ✓ قاد الجيوش كسرى عندها آهاوأه!
- ✓ كسرى تحكم بعدها ويلاه ويلاه[1].

مما جعل آسيا تتكلم هنا من خلال الخيال الأوربي وبفضله، وهذا التصور يقسم العالم إلى جانب مختلفين هما:

- القوة الأوربية، التي تستطيع التعبير عن نفسها.
- آسيا المهزومة والضعيفة.

وسوف يظل هذان الجانبان من جوانب صورة الشرق، هما اللذان يميزانه عن العرب حسب الروايات والآداب الأوربية، وفي نفس الوقت يعتبران من المحاور الأساسية في الجغرافيا الخيالية الأوروبية، فالإطار العلمي الذي يغلق دراسة المستشرق الذي قد يجد في أصقاع آسيا الشاسعة ما يثير تعاطفه أحيانا، ولكنه دائما ما يخضع ذلك لفحص دقيق يتم عن إحساسه بالسيادة عليه[2].

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 119.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص،ص: 120،121.

لكن الإهتمام بالشرق كانت له تقاليده الخاصة في التحقيق والترتيب الهرمي، ومنذ القرن الثاني قبل الميلاد (2ق،م) فصاعداً، لم يكن يغيب عن ذهن كل من يرحل إلى الشرق أو يتجه بأنضاره إليه، من حكام العرب الطامحين أمثال: (هيرودوت، والإسكندر الأكبر)، وهكذا كان الشرق مقسما تقسيما فرعية بين الممالك التي سبق وأن عرفها وزارها هؤلاء الحكام والأدباء وخلفاؤهم، وبين الممالك التي لم تسبق معرفتها أو زيارتها أو فتحها، إلى غاية مجيء المسيحية التي أكملت إنشاء التقسيمات الداخلية الرئيسية للشرق وهي (الشرق الأدنى، الشرق الأقصى، الشرق المألوف، وهو ما يسميه "رينيه جروسيه" إمبراطورية بلاد الشام، والشرق الجديد).

في حين كان هناك تفاوت في صورة الشرق في الجغرافيا، بين عالم عريق يعود الإنسان إليه مثلما يعود إلى جنة أو الفردوس، وبين مكان جديد كل الجدة يرتاده الإنسان مثلما إرتاد كولومبوس أرض أمريكا حتى ينشأ الدنيا الجديدة، وقد أثمرت هذه الخبرات أمثال: حركات الفتوح الشرقية الجبارة خصوصا الفتوح الإسلامية، وحكايات الأسفار لـ: "ما نقديل" مثلا، ورسم الطرق التجارية كما ركوبولو ... وغيرهم، عن كتابات تشكل فيما بينها سجلاً له بناؤه الداخلي الخاص[1].

فكان على الذهن فجأة أن يتصدى لما يعتبر شكلا جديداً للحياة يختلف اختلافا جذرياً عما سبقه، على نحو ما بدا الإسلام لأوربا في أوائل العصور الوسطى، فاتخذ موقف الدفاع، إذا كان يقال بأن الإسلام صورة جديدة مخادعة لخبرة سابقة، لكن خوف أوربا من الإسلام كان له ما يبرره حسب الكاتب هنا، فبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) عام (632هـ) تبعتها الهيمنة العسكرية وازدادت في وقت لاحق الهيمنة الثقافية بشكل هائل، فبعد الفتح الإسلامي لبلاد فارس، وسوريا، ومصر، ثم تركيا، فشمال إفريقيا، فتحت أيضا كل من إسبانيا وجزيرة صقيلة، وجنوب فرنسا في القرنين (18م) و (19م)، وصولا إلى القرنان الثالث عشر والرابع عشر، اللذان شهدا امتداد حكم

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 122.

الإسلام شرقا إلى الهند الصينية والصين، فلم يكن في طوق أوربا أن ترد على هذه الهجمة، إلا بالخوف والرهبة، فكان يمثل لأوربا رمزاً للرعب والخراب وحجا فل الهمجيين الشيطانية الكريهة[1].

أما ما بقي شائعا عن الإسلام كان بالضرورة صورة مخففة لتلك القوة العظمى والخطرة التي كان يرمز لها في أوربا على نحو ما فعله الروائي "وولترسكوت" في تصويره للبلد والراحل، كان تصوير أوربا بالمسلم العثماني أو العرب يمثل دائما محاولة للتحكم في الشرق المهيب وهو الأسلوب الذي يتبعه العلماء المستشرقين المحدثين، الذي يتخذون من التعريف بالشرق موضوعا لهم، فإذا تنست لهم معرفته أصبح أقل إثارة للخوف لدى جمهوره القراء العربيين، وقد تدعمت هذه الصورة الصارمة للإسلام بعدة سبل كان من بينها: العصور الوسطى وبداية عصر النهضة[2].

أما أبرز ما يتجلى لنا هو عجز النظم الفكرية المسيحية عن تقديم تفسير مقنع ومرض للظاهرة التي تحاول تفسيرها وهي (الإسلام)، حيث يوضح "سذرن" في تحليله أن الجهل العربي هو الذي إزداد في النهاية تنقيحاً وبعداً عن البساطة، فالوصف المبدئي للاستشراق ما هو إلا عبارة عن حيز مغلق، فيما تجسد بلدان المشرق خضبة المسرح، التي يحبس فيها الشرق كله، فاعتبار الجغرافيا الخيالية من الصور الواقعية الحية التي نجدها في الجحيم إلى الإشارات النثرية لـ: "ديربليم" في المكتبة الشرقية أو ما يعرف بـ: (البيبليم تيك أو رينتال)، قد حاول تقديم خلاصة شاملة للمعارف التي كانت متاحة بشأن بعض القضايا، كأي كتاب آخر لتاريخ العالم.

فيمثل هذه الجهود التي يذلها (ديربليم) استطاعت أوربا أن تكتشف طاقاتها على احتواء الشرق إضفاء الصورة التي تريدها عليه[3].

-المشروعات

لقد مرّت العلاقات الثقافية والمادية والفكرية بين أوربا والشرق بمراحل لا تعد ولا تحصى، وإن كان الخط الفاصل بين الشرق والغرب قد ترك انطباعاً معنياً لا يتغير في أوربا، ومع ذلك وبصفة عامة

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 124.

[2]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 126.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص،ص: 131،132.

كان العرب هو الذي يتحرك نحو الشرق لا العكس، فالاستشراق هو المبحث الذي استطاع العرب بفضله أن يتناول الشرق بالبحث العلمي بصورة منتظمة، وأن يبذل فيه جهوده للاستكشاف وفي العمل أيضا[1].

في حين ظل تاريخ الشرق باستثناء الإسلام، حتى القرن (19م)، عبارة عن تاريخ سيادة عربية متصلة الحلقات دون تحد من جانب أحد، كالوجود البريطاني في الهند، والبرتغالي في جزر الهند الشرقية والصين واليابان ... وغيرها.

لكن الشرق العربي والإسلامي وحدة مثل لأوربا بصفة عامة تحديا لم يحسم على عدة مستويات (سياسيا، فكريا واقتصاديا)، فلا شك أن الإسلام مثل مصدر استفزاز حقيقي من زوايا عديدة، فموقعه محاور وقريب من المسيحية جغرافيا وثقافيا إلى حد مقلق، حينها كان لفظ لا يقصد به أن يكون مرادفا للشرق الآسيوي بصفة عامة، بل كان مفهومه يقتصر اقتصاراً صارماً على الشرق الإسلامي[2].

وقد كان على كل من يريد أن يصل إلى الهند (الشرقية) وكنوزها أن يعبر أولا وفي كل الأحوال، البلدان الإسلامية ومقاومة التأثير العقدي، وهو ما نجحت فيه كل من بريطانيا وفرنسا في القسم الأكبر من القرن (18م)، ليعلن عما سموه بمرحلة الشيخوخة المريحة لأوربا ويقصد بها ضعف الدولة العثمانية في القرن (19م)، لتندلع الحرب بين بريطانيا وفرنسا (1744-1748م)، ومن جديد (1756-1763م) لتعلن بريطانيا سيطرتها الاقتصادية والسياسية على شبه القارة الهندية سنة (1769م)، لتبدأ المضايقات الفرنسية بقطع نابليون طريق المواصلات الإسلامية (مصر) على الإمبراطورية البريطانية[3].

ليكون بحملته على مصر قد سبق مشروعان استشراقيان كبيران على الأقل، ليشكل خطراً على الاستشراق، فكل ما بذل قبل حملة نابليون محاولتان ليس إلا، تمثلنا في جهود إثنين من العلماء الغزو

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 142.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 144.
[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 146.

الشرق، بنزع الستار الذي تخفيه وأيضا بتجاوز الملجأ الآمن نسبياً للشرق المذكور في الكتاب المقدس، وكانت المحاولتان لكل من (إبراهيم هياسنت أنكتيل ديبورن "1731-1805م")، كان غريب الأطوار، وقد سافر إلى آسيا حتى يثبت الوجود الفعلي والبدائي للشعب المختار ولسلالات الأنساب الواردة في الكتاب المقدس والثاني هو: (جونز)، ليقول (شواب) على ما بينهما من اختلافات لا أمل في التوقيف بينهما في الطبع والإيديولوجيا، فالأول يسعى لتأكيد أن الكتاب المقدس يقين، والثاني يؤكد أنه غريب لا يصدق[1].

ليصطدما بما يحمله الشرق من موروث ثقافي وديني (الأفستا)، ولغوي وحضاري كما ينطبق الأمر على غيرهم من الذين سافروا للشرق أمثال رجال الطب ذوي الميول التبشيرية القوية، فقد كانوا يسعون لتحقيق غرض ذي شقين، وهما البحث في علوم وفنون آسيا، على أمل تسيير تحسين الأحوال هناك وكذلك تقدم المعرفة والارتقاء بالفنون في الفنون، على نحو ما جاء تعريف الهدف الاستشراقي المشرك الصادر في المجلد الصادر في الذكرى المؤية لإنشاء الجمعية الآسوية الملكية التي أسسها "هنري توماس كولبورك" عام (1823م)[2].

وقد كانت السمة المميزة لجميع المشروعات الاستشراقية قبل مشروع نابليون، عدم إمكان فعل شيء يذكر تمهيدا لنجاح المشروع قبل فيه، "فأنكيتل" و "وجونز"، لم يتعلما ما فعلاه بشأن الشرق بل بعدما وصلا إليه، فقد كانا يواجهان الشرق كله، أما نابليون فلم يكن يقنع إلا بالاستيلاء على مصر كلها، فقد اعتبرها مشروعا يحتمل النجاح فيه، كونه موضوعا قرأه وعرفه مستفيدا من النصوص، لا من الواقع التجريبي، وهكذا فإن خططه التي وضعها لمصر تكون أول حالة في سلسلة طويلة من اللقاءات الأوربية من الشرق، وينتفع فيها مباشرة بخبرة المستشرق في تنفيذ مشروع استعماري[3].

وقيام نابليون بتجنيد عشرات "العلماء" في حملته المصرية أشهر من أن يحتاج إلى التفصيل، وإذا يريد إعداد ما يشبه الأرشيف الحي لحملته في صورة الدراسات التي يضطلع بها، وفي جميع الموضوعات،

---

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 147.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص،ص: 149،150.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 152.

أما الأمر الذي يخفى هو اعتمادنا نابليون السابق على الكتاب الذي كتبه "دي فولتي"، وهو رحالة فرنسي ظهر كتابه "رحلة مصر وسوريا" في مجلدين عام (1787م)، ليصل الكتاب إلى ذروته في المجلد الثاني عندما وصف الإسلام كدين من الأديان، ومع ذلك فقد وجد نابليون أن لهذا الكتاب ولكتابه الآخر: "تأملات في الحرب الجارية مع الأتراك"، أهمية مثله مثل "شاتو بريان" و "لا مارتين" الذين جاءا بعده بربع قرن، برؤيتهم أن الطموح الاستعماري الفرنسي من المحتمل أن يتحقق في الشرق الأدنى، مستفيدا من تعديد العقبات التي تواجهها أي حملة فرنسية عسكرية في الشرق، وترتيبه لها وفق درجة صعوبتها[1].

ليطبق نابليون إرشادات "فولني" تطبيقا دقيقا، وإن كان ذلك بأسلوب المكر الذي كان يتميز به، ببذل قصاري جهده لإقناع المسلمين بقوله:"إننا نحن المسلمون الحقيقيون" في الإعلان الذي وزعه سنة (1798م) في الإسكندرية، وقد حاول نابليون أن يثبت أنه يحارب في سبيل الإسلام، ليلجأ للأئمة والقضاة والمقيمين والعلماء المحليين لتفسير القرآن لصالح الجيش الفرنسي، ليفقد السكان المحليون ارتيابهم بالمحليين، مما جعل منه يصدر أمر حكم مصر الدائم لنائبه "كليبر" بعد رحيله، من خلال المستشرقين وعلماء الدين المسلمين الذين يستطيع المستشرقون استعمالاتهم، فمثل هذا النصر لا بد أن سيكون قد إكتمل الإعداد له قبل القيام بالحملة العسكرية، لكن المعاملات مع المسلمين لم تكن تمثل إلا جانباً واحداً من جوانب مشروع نابليون للسيطرة على مصر، أما الجانب الثاني فكان تحقيق الانفتاح الكامل لمصر، أي تمكين الدراسيين الأوربيين من دراستها دون عوائق، فبعد أن كانت أرض الغموض كجزء من الشرق الذي لا يعرف، أصبحت مجالا للدراسة العلمية الفرنسية[2]، فقد كانت ملامح الاستشراق التي تحققت بصورة كاملة في كتاب "وصف مصر" متعددة أبرزها: إعادة المنطقة التي سقطت في هوة الهمجية إلى ما كانت عليه من عظمة في الماضي، وتعليم الشرق طرائق الغرب

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 153.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص، ص: 156-157.

الحديث، في حين اعتبرت القوة العسكرية مسألة ثانوية بالتهوين من شأنها في سبيل تضخيم مشروع المعرفة المجيدة المكتسبة من خلال السيطرة السياسية على الشرق[1].

– الأزمة

من الغريب أن نتحدث عن شيء أو شخص فيقول أنه يتخذ موقفا نصيا، ولكن دارس الأدب سوف يفهم العبارة يسر أكبر عند تذكر الموقف الذي هاجمه "فولتر" في (كانزير)، أو ما سخر منه "سيرفانتيش" في (دور كيخوته)، فكلا منهما يقول بأنه من الخطأ فهم ما يعيش فيه البشر من فوض من فوضى من خلال الكتب والنصوص، كما من غير المحتمل أن يستند الإنسان إلى رواية (اماديس أوف جول) بطل أماديس، في فهم أحوال إسبانيا في القرن (16م)، كما من المستعبد الاستناد إلى الكتاب المقدس في تفهم مجلس العموم البريطاني، فمن نقائص البشر تفضيل حجية النص القائمة على التخطيط المرسوم على ما تثيره المواجهات المباشرة[2].

ليقودنا هذا الأمر إلى حالتان ترجحان كفة الموقف لنص:

أ– مواجهة الإنسان عن كتب لشيء مجهول نسبيا يتهدده بالخطر ففي هذه الحالة لا يلجأ المرء فقط إلى خيرته السابقة نشرانا لما يشبه الشيء الجديد بل يلجأ أيضا لما سبق له أن قرأه عنه، فكتب الرحلات والكتب الإرشادية نصوصاً طبيعية ومنطقية، مما يسبب الميل البشري للرجوع إلى النص عندما تكثر الشكوك، فالكثير من مؤلفي كتب الرحلات يؤلفونها حتى يقولوا إن بلداً ما على هذه الصورة أو تلك، أو إنه أفضل من غيره، فالكتاب يصف لنا في هذه الحالة الناس والأماكن والخبرات مما يجعله يكسب حجية أكبر[3].

ب– أما الحالة الثانية فهي التي ترجح الموقف النص، فإذا قرأ شخص كتاباً يقول بأن الأسود شرسة، ثم قابل الأسود الشرسة فالأرجح أنه سوق يقرأ المزيد من كتب ذلك المؤلف ويصدق ما جاء فيها، لكن إذا أضفت إليه التعليمات عن كيفية التعامل معه ولاقت نجاحاً، فسينتج عنه زيادة الدافع

[1]– ينظر: المصدر نفسه، ص: 160.

[2]– إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 169.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص: 170.

عند المؤلف لكتابات من نوع آخر، وليس من السهل تجاهل كتاب يقول أنه يتضمن معلومات عن شيء واقعي[1]، لننظر في ضوء ما طرح إلى كل من "نابليون" و "دي ليسيس"، أن كل شيء عرفاه عن الشرق تقريبا كان مستقى من كتب كتبت في إطار تقاليد الاستشراق حيث كانا يريان ذلك الأسد الشرس متمثلا في الشرق الذي يمكنهما مواجهته والتعامل معه إلى حدٍ ما، لأن النصوص خلقت ذلك الشرق لكنه كان شرقا صامتا متاحا لتحقيق المشروعات الأوربية، كما كان عاجزاً عن مقاومة المشروعات أو الأوصاف التي ابتكرت له، ولقد سبق الذكر بأن العلاقة بين الكتابة الغربية، وصمت الشرق هو نتيجة ودليل على القوة الثقافية العظمى للعرب.

فما إن نبدأ النظر إلى الاستشراق باعتباره صورة يسقطها العرب على الشرق وتعبيراً عن إدارة التحكم فيه، فإن ذلك يصدق أيضا على المستشرقين الذين وضعوا حبكات التاريخ الشرقي والشخصية الشرقية والمصير الشرقي على إمتداد مئات السنين، وفي القرنين (19م) و (20م)، أصبح للمستشرقين كيان أثقل وزنا، كون الاستشراق اكتمل تحوله الذاتي من كونه مجرد خطاب علمي إلى مؤسسة إمبريالية، ليتأكد وقوع الانتقال من الفهم النصي للشرق أو الصياغة أو التعريف النصي إلى التطبيق العلمي لذلك كله[2].

ومن الحقائق المهمة على حساسيتها الشديدة، قرب السياسة من الاستشراق، بمعنى الانتفاع في تحقيق السياسة بالأفكار الخاصة بالشرق والمستقاة من الاستشراق، مما يثير التساؤلات فتأثير حركة الاستشراق العربي هو أن الظروف السياسية والثقافية التي ازدهرت فيها هذه الحركة لفتت الأنظار إلى المكانة المنحطة للشرق أو الشرقي، باعتبارهما من موضوعات الدراسة، والتي وصفها أنور عبد المالك بدراسة ذات مستويين هما:

أ- مستوى موقع المشكلة والإشكالية.

ب- مستوى المحاور الفكري[3].

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 171.

[2]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 174.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص، ص 175، 176.

فالمفهوم الذي يطلقه المستشرقون حول الأمم والشعوب الشرقية التي يدرسونها ما هو إلا نمطية عرقية محددة الملامح، سرعان ما تسير بهم إلى العنصرية، مثل ما نجده عند "ستليجل"، فالجانب الأكبر من النزعة العنصرية في انتقاداته للسامين الفكرية للاستشراق أن تتضمن كل من: (جوبينيو، رنان، خمبولت، شتاينال، بيرنوق، دوزي، ميور...) وطاقة الجمعيات العلمية على النشر مثل: (الجمعية الآسوية الفرنسية 1822م – الجمعية الشرقية الأمريكية 1846م، الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية 1923م...)، لكن سلسلة الأنساب الفكري الرسمية قد تتجاهل بالضرورة المساهمة الكبيرة منفي جانب الكتابات الإبداعية عن الرحلات وهي التي دعمت التقسيمات التي وضعها المستشرقون بين شتى مناطق الشرق جغرافيا وزمنيا وعنصريا[1].

وبحلول نهاية القرن التاسع عشر كانت هذه المنجزات تلقى التشجيع المادي من الاحتلال الأوربي للشرق الأدنى، فمهما يكن عمق الاستثناء الخاص، ومهما تكن قدرة الشرقي على النفاذ من الأسوار المحيطة به، فهو أولا شرقي، وهو ثانيا إنسان، وهو أخيراً شرقي مرة أخرى.

فالمستشرق الحديث عندما يحكم على الشرق لا يبتعد عنه بعكس ما يظن ويقول، بل إن الشرق الذي يراه بصورته الحقيقة بل بصورته التي رسمها الاستشراق[2].

ويقول عبد المالك أن أحد مؤشرات الأزمة لم يكن يقتصر على أن حركات التحرر الوطني في المستعمرات السابقة في الشرق فد هدمت التصورات الاستشراقية عن الأجناس المحكومة وما ينسب إليها من مواقف سلبية ...، بل ان يتمثل بالإضافة إلى ذلك في أن المتخصصين أفراد الجمهور العريضة أصبحوا يدركون المسافة الزمنية التي تفصل بين علم الاستشراق والمادة قيد الدرس، كما تفصل بين التصورات والمناهج والأدوات التي تستخدم في البحوث وفي العلوم الإنسانية والاجتماعية، وبين ما يستخدم منها في الاستشراق، وكان ذلك هو العامل الحاسم، فكل من "رينان" إلى "جولد تسيهر" و "فون جرونيباوم" و "جيب" وغيرهم ...، ويرون أن "الإسلام تركيب ثقافي"، يمكن أن

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 179.

[2]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 186.

يدرس خارج إطار الجوانب الاقتصادية والتجارية والاجتماعية والسياسية للشعوب الإسلامية، فقد كان له معنى محدد في الاستشراق.

فإن إختسرنا الفكرة السائدة عنه يمكن اختزالها فيما قاله "رينان" أنه عبارة عن "الخيمة والقبيلة"، أما العوامل الأخرى فقد تجاهلوها كونها لا تزيد عن أنها "ذباب"، فالمواقف الاستشراقية المعاصرة تغمر لصحافة والتفكير الشعبي، إذ يظن أن العرب قوم يركبون لجمال، إرهابيون، أنوافهم معوقهم، فاسقون، وأن ثورتهم التي لا يستحقونها إهانة للحضارة الحقيقية، فمن زاوية معنية تعتبر جوانب قصور الاستشراق، هي نفسها جوانب القصور الناجمة عن تجاهل إنسانية ثقافية أخرى أو شعب آخر، أو منطقة جغرافية ما، وتجريدها من صفاتها[1]، كما يفرض المستشرق أن ظهور ما لم تهيئة لظهور قد ظهر إما نتيجة تحريض خارجي في الشرق أو بسبب التفاهات الشرقية الضالة، كما لا يوجدنص استشراقي كتب عن الإسلام، إلى غاية ظهور المصنف الجامع: "تاريخ كامبريدج للإسلام"، الذي استطاع أي يهيء قارئه لما حدث منذ عام (1948م) في كل من (مصر، فلسطين، العراق، سوريا...)، فعند عجز العقائد الجامدة عن الإسلام عن مدير العون، بدأ اللجوء إلى رطانة العلوم الاجتماعية الاستشراقية، والأزمة الراهنة تجسد التفاوت بين النصوص والواقع تجسيداً صارخاً[2].

الفصل الثاني للكتاب:أبنية الاستشراق وإعادة بنائها

– حدود أعادو رسمها، وقضايا أعادوا تعريفها ودين جعلوه علمانيا.

توفي حوستاف قلوبير فيي عام 1980م قبل أن ينتهي من كتابة روايته بوقارة وبيكوشية وهي رواية موسوعية فكاهية عن انحطاط المعرفة وتفاهة الجهد البشري، والبطلان اللذان تحمل الرواية اسميهما موظفان كتابيان من الطبقة البرجوازية، حيث من بين الصور التمهيدية التي أعدها فلوبير لختام هذا المشهد العام لليأس صورتان جديرتان باهتمامنا الخاص هنا.

[1]– ينظر: المصدر نفسه، ص، ص 187، 188، 191، 192.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص: 193.

الأولى صورة الرجلين وهما يناقشان مستقبل الجنس البشري، إذا أن بيكوشية يرى "مستقبل من خلال زجاج معتم"، وبوقار يراه "مشرفا وضاءا"، فهو يقول/ الإنسان الحديث يتقدم، وسوف تقوم آسيا بتحديد أوروبا هذا هو القانون التاريخي الذي يقضي بأن تنتقل الحضارة من الشرق إلى الغرب، أخيرا سوف تلتحم هاتان الصورتان من صور الإنسان[1].

يتضح من المذكرات التحضيرية التي كتبها فلوبير للرواية أن هذا المشروع الذي يتوقعه بوقار لن يختلفمصيره عن مصير مشروعاته الأخرى، إذ سوف يصطدم بالواقع الذي يوقف سيره، وبعد سطور قليلة تظهر الصورة الثانية التي تهمنا حين يعترف الرجلان معارفي نفس الوقت لبعضهما البعض أنهما يرغبان سرّا في العمل ينصح المخطوطات[2].

ورغم أن فلوبير لا يفصح إفصاحا كاملا عن رؤية بوقار لتجديد أوروبا على يدي آسيا، فنحن نستطيع شرحها وشرح ما انتهت إليه على يد مكتب النساخ بعدة طرائق بعدة طرائق مهمة، فهذه الرؤية مثل الكثير من رؤى الرجلين الأخرى، رؤية عالمية وهي رؤية لإعادة البناء وهي تمثل ما كان فوبير يرى أنه ولم القرن التاسع عشر بإعادة بناء العالم وفقا لرؤية إبداعية أي خيالية تصحبها أحيانا تقنية علمية من نوع خاص، ومن الرؤى التي يقصدها فلوبير الأعمال العلمي للبشرية التي تصورها أوجست كونت وجميع الأديان التقنية أو العلمانية[3]، التي كان يروج لها دعاة الأيديولوجيا والمنطقية الوضعية، والمذاهب الانتقائية، والعلوم الغيبية والاتجاهات التقليدية والمثالية مثل ديتوت تراسي، وكباني، وميشيلية، وكوزان، وكابية، ويعتنق بوقارة وبيكوشيه شتى مذاهب هذه الشخصيات على امتداد الرواية، ثم ينتقلان بعد تدميرها إلى البحث عن مذاهب أحدث دون تحقيق نتائج أفضل[4].

وأمّا ما كان بوقر يرمي إليه بإشارته إلى تجديد أوروبا على يدي آسيا فيعتبر فكرة رومنسية بالغة النفوذ والتأثير إذا كان فريدريش شليجل ونوقاليس مثلا يحثان أبناء وطنهما ويحثان الأوروبيين بصفة

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 197.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 198.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 199.

[4]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 199.

عامة على دراسة الهند دراسة منفصلة، لأن ثقافة الهند ودينها يستطيعان هزيمة النزعة المادية والآلية في الثقافة العربية، أضف إلى ذلك أن المشروع الاستشراقي الرومنسي لم يكن مجرد مثال خاص لاتجاه عام، بل كان قوة جبّارة ساهمت في تكوين هذا الاتجاه، على نحو ما جاء في الحجج المقنعة التي أقامها ريموز شواب على ذلك في كتابة النهضة الشرقية ولكن آسيا لم تكن ترجع إلى آسيا نفسها بقدر ما كانت ترجع إلى نفعها لأوروبا الحديثة، وهكذا فإن كل من أتقن لغة شرقية مثل شليجل أو فرانتس بوب، كان يعتبر بطلا روحيّا، أو فارسا شاردا يعود لأوروبا حاملا الوعي بالرسالة المقدسة التي فقدتها[1].

تمثلت رواية وبيكوشيه التي كتبها فلوبير، الإطار الذي تقع فيه أبنية الاستشراق الحديثة بصفة محددة، فما الاستشراق على أية حال إلاّ مبحث واحد من بين الأديان العلمانية التي اتسم بها الفكر الأوروبي في القرن التاسع عشر، ولقد سبق لنا تحديد صفات النطاق العام للأفكار المتعلقة بالشرق، وهو الذي ورثته أوروبا من العصور الوسطى وعصر النهضة.

وكان الإسلام يمثل جوهر الشرق في هذا الإطار أما في القرن الثامن عشر فقد برز عدد من العناصر الجديدة المتضافرة، والتي كانت تلمح إلى قدوم مرحلة النزعة البشرية، وهي التي أعاد فلوبير فيما يعد رسم خطوطها العريضة، ومن هذه العناصر[2]:

1- بداية انفتاح الشرق انفتاحا كبيرا تجاوز الأراضي الإسلامية.

2- نشأة مؤقت يستند إلى معرفة أدق تجاه كل ما هو أجنبي وغريب، وهو الموقف الذي ساعد في تشكيلة الرحالة والمكتشفون إلى جانب المؤرخين الذين كانوا يرون أن مقارنة الخبرة الأوروبية بالحضارات الأخرى، وكذلك الحضارات الأعرف تعود على النّاس بالفائدة[3].

3- كان بحض المفكرين يصلون إلى تجاوز الدراسة المقارنة، وتجاوز استقصاءاتها الحصيفة للجنس البشري من "الصين إلى بيروت"، من خلال التعاطف الذي يبلغ التوحد مع الغير، وهذا

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 200.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 202.

[3]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 203.

العنصر في القرن الامن عشر فمهد الطريق أمام الاستشراق الحديث، وما تدعوه اليوم بالمدرسة التاريخية، أو المذهب التاريخي فكرة أتى بها القرن الثامن عشر، فكان فيكو وهيردر وهامان وغيرهم، يعتقدون أن جميع الثقافات تتسم بالتماسك العضوي والداخلي، وأنها ترتبط جميعا بروح ما، أو عبقرية، أو مناخ ما، أو بفكرة قومية لا يستطيع الأجنبي أن يخترقها إلا بالتعاطف التاريخي[1].

4- أما رابع العناصر التي مهدت الطريق لقيام أبنية الاستشراق الحديث فكان يتمثل في نزعة جارفة إلى تصنيف الطبيعة والبشر في أنماط وأعظم إسمين في هذا الصدد هما طبيعة الحال لينيوس، عالم النبات السويدي، و بيفون عالم الطبيعة الفرنسي[2].

وتمثل العناصر الأربعة التوسع والمواجهة التاريخية والتعاطف والتصنيف والتيارات الفكرية في القرن الثامن عشر التي يعتمد عليها قيام الأبنية الفكرية والمؤسسية للاستشراق الحديث، ولولاها ما نشأ اللاستشراق، كما كانت هذه العناصر وراء تحرير الشرق بصفة عامة، والاستلام بصفة خاصة وبعبترة أخرى تقول أن الاستشراق الحديث مستمد من عناصر العلمائية في الثقافة الأوروبية في القرن الثامن عشر[3].

– سلفستردى ساسي وارنست رينان:

الأنثروبولوجيا العقلانية ومختبر فقه اللغة

ولد أنطوان إيراك سلقيتر عام 1757م، لأسرة تعتنق مذهب الجانسينية أو البانسينية، وهو من مذاهب الكاثوليكية الرومانية، وكان العمل التقليدي للأسرة عمل الموثق العمومي، وتلقى سلقستر تعليمة الخاص في دير بندكتي كانت حياته تدور حول محورين رئيسيين هما الجهد البطولي والإخلاص يتقيان لما يعود بن التعليم والمذهب العقلاني من النفع حيث بدأ بدراسة اللغات العربية والسريانية والكدانية، ثم درس العبرية، وكانت العربية بصفة خاصة هي التي فتحت له أبواب الشرق[4].

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 204.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 206.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 207.

[4]- إدوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 213.

تعتبر أعمال سياسي كلها في جوهرها منتخبات، وهكذا فهي تتخذ الشكل الرسمي التعليمية وتجتهد في التنقيح إلى حد كبير، وقد كتب سياسي كتاب مبادئ النحو العام إلى جانبه كتاب المنتجات العربية الذي يقع في ثلاث مجلدات ومختارات من الكتابات العربية في النحو 1825م، وكتابا في النحو العربي عام 1810م، لاستعمال تلاميذ المدرسة الخاصة كما يقول ودراسات في العروض العربي، ومؤلفات قصيرة كثيرة في موضوعات شرقية مثل المسكوكات الأثرية، وأسماء الأعلام، والنقوش، والجغرافيا، والتاريخ والموازين والمقاييس، كما أصدر عددا لا بأس به من الترجمات، وكان يتمتع على غرار ذلك بنشاط جغرفي في تحرير النصوص، وكتابة المذكرات والتاريخ للعلوم الحديثة[1].

لقد كان ساس أذكى من أن يتجاهل تقديم الحجج التي تدعم آراءه وأعماله، فكان يوضح دائما سبب استعصاء تقبل الأوروبي للشرق في ذاته وكان يدافع عن فائدة وأهمية الشعر العربي، ولكنه كان يقول في الواقع إنّ على المستشرق تحويل ذلك الشعر تحويلا صحيحا حتى يقدره الجمهور الأوروبي، فهو يقول إنّ الذين كتبوا الشعر العربي أناس يتسمون بغرابة مطلقة، في عيون الأوروبيين، وفي ظروف مناخية واجتماعية وتاريخية تختلف اختلافا شاسعا عما يعرفه الأوروبي، أضف إلى ذلك الشعر كانت تغدوه أفكار وعصبيات وعقائد وخلافات لا تستطيع الاستدلال عليها إلاّ بعد دراسة طويلة بل إنه حتى تعرض المرء للضوابط الصارمة التي تفرقها[2] الدراسة المتخصصة، فسوف تفهم الكثير من الأوصاف الواردة في ذلك الشعر على الأوروبيين الذين وصلوا إلى درجة أعلى من الحضارة، ومع ذلك فإن ما نستطيع أن نحكم معرفته له قيمة كبرى لنا نحن الأوروبيين الذين اعتدنا إخفاء صفاتنا الخارجية، وأنشطتنا الجسدية، وعلاقتنا بالطبيعة، ومن ثم فإن نفع المستشرق يمكن في أن يتيح الإطلاع على نطاق واسع من الخبرات غير المعتاد، بل وعلى ما هو أكبر قيمة، أي باعتباره ذلك النوع من الأدب القادر على مساعدة في فهم شعر العبرانيين[3]، وهكذا فإن البناء الموضوعي تسمية الشرق والإعادة الذاتية للبناء (أي الصورة التي يجعلها المستشرق تمثل الشرق) يمكن أن يحل

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص، ص: 215،216.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 218.

[3]- إدوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 219.

أحدهما محل الآخر فالمستشرق يكسو الشرق بعقلانية ومبادئ الشرق تصبح هي نفسها مبادئ المستشرق وهكذا فإن كتب المنتجات التي أصدرها سياسي لا تعتبر استكمالا للشرق.

وحسب بل إنها تقدمة للغرب باعتباره حضورا شرقيا فيه، كما أن عمله يهيء مكانة معتمدة للشرق، ويأتي الاعتماد في النصوص المقتطفة التي يتناقلها الطلاّب بعد جيل[1].

دخل رينان الاستشراق من باب فقه اللغة وكان الثراء الفذ لذلك المبحث العلمي وما يتمتع به موقع ثقافي مرهوق من وراء اكتساب الاستشراق أهم خصائص التقنية، وقفة اللّغة يطرح إشكاليات خاصة بذاته، وبمن يمارسه وبالعصر الحاضر فهو يجد حالة خاصة من حالات الحداثة والانتماء الأوروبي، كما يرى نتيشه أيضا أن قفة اللّغة شيء يولد، أو يغلق بالمعنى الذي كان قيكو يقصده، باعتباره دليلا على الجهد البشري، وهو يخلق باعتباره مرتبه من مراتب الاكتشاف الإنساني واكتشاف الذات والأصالة[2].

يرى رينان أن اللّغة السامية ظاهرة تدل على توقف النمو بالمقارنة باللّغات والثقافات الناضجة الأخرى المنتمية إلى مجموعة اللغات الهندية الأوروبية بل وباللّغات الشرقية السامية الأخرى، كان الشعر الأخير كله من حياة رينان العملية منصرفا إلى أوروبا والثقافة، وكانت منجزاته هنا منوعة وتخطئ باختفاء كبير، كان أشهر ما أشهر به هو كتابة حياة يسوع، وهو العمل الذي افتتح به كتاباته التاريخية الضخمة عن المسيحية وعن الشعب اليهودي ومع ذلك فعلينا أن ندرك أن كتاب حياة يوسع كان يمثل على الدقة نمط الإنجاز البطولي الذي تميز به التاريخ العام، أي ذلك البناء الذي أقيم بفضل قدرة المؤرخ على الصناعة البارعة لسيرة حياة شرقية ميتة، كأنها كانت قصة حقيقية الحياة طبيعية، وهنا تبدو المفارقة واضحة على الفور.

وكان رينان يستخدم الوصف بالموت وهنا تبدوا مزدوج، الأول يشير إلى موت الإيمان، والثاني يشير إلى فترة تاريخية مفقودة، ومن ثم فهي ميتة وكان كل ما يقوله رينان يمر أولا بمختبر فقه اللّغة[3].

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 220.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 220.

[3]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 222.

وكان رينان شخصية مرموقة في ذاته، دون أن يتمتع بالأصالة الكاملة أو بالاستناد المطلق إلى من سبقه، وهكذا فاعتباره قوة ثقافية أو مستشرقا مهما، لا يستطيع أن نختزله ببساطة فنقتصر على شخصيته الخاصة أو على مجموعة من الأفكار المنهجية التي يؤمن بها، ولكن أفضل فهم لرينان هو أن يعتبره قوة دينامية فلقد كان الرواد من أمثال سياسي قد أوجدوا فرصة العمل لكنه أشاع منجزاتهم في الثقافة باعتبارها "عمله" كان يتداولها ويجيد تداولها بقدرته على سك عملته الجديدة التي لامراء في جدتها.

ولا بد لنا من تفهم شخصية رينان باختصار باعتباره يمثل نمط من أنماط العمل الثقافي والفكري، أو أسلوب بالإصدار "الأقوال" الاستشراقية في إطار ما قد يطلق عليه ميشيل فوكوه أرشيف عصره، وليست العبرة بما كان يقوله رينان فحسب بل أيضا بالطريقة التي يقول بها ما يقوله، وبما اختباره في ظل خليفته وتعليمه مادة لموضوعة، وبالأشياء التي كان يربط بينها، ومن ثم نستطيع أن نصف علاقات رينان بمادته الشرقية، وبعصره وجمهوره، وحتى بعمله الخاص، دون اللجوء إلى الصيغ التي تعتمد على افتراض الاستقرار الوجودي، وهو اقتراض لم يخصص أحد (مثل روح العصر أو تاريخ الأفكار، أو الحياة والزمان)، لكننا نستطيع أن تقرأ رينان باعتباره كاتبا شيئا يمكن وصفه، في مكان محدد زمنيا ومكانيا وثقافيا.

ومن ثم أرشيفيا وموجها لجمهور معين، وكذلك وهو مالا يقل أهمية، من أجل دعم موقعه في مجال الاستشراق الخاص بعصره[1].

والفرق بين سياسي ورينان هو الفرق بين شق الطريق ومواصلة السير فيه، إذا كان سياسي هو "المبتدع"، أو الأصل عمله يمثل ظهور هذا المجال ومكانته باعتباره مبحثا من مباحث القرن التاسع عشر الذي تضرب جذوره في أعماق الرومانسية الثورية، وكان رينان ينحدر من الجيل الثاني للاستشراق[2]، وكانت مهمته تدعيم "الخطاب" الاستشراق "الرسمي"، وتنظيم الأفكار التي أتى بها

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 222.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 221.

وغنشاء مؤسساته الفكرية والدنيوية، أما سياسي فكانت جهوده الشخصية من وراء وحيوية هذا المجال وأبنية، وأما رينان فكان قيامه بتطويع الاستشراق حتى يلائم قفة اللّغة، وتطويعهما معا حتى يلائما الثقافة الفكرية لعصره، هو الذي مكن الأنبية الاستشرافية من الاستمرار فكرياً فراد من إبرازها للعيان[1].

– الإقامة في الشرق ودراسته:

متطلبات تصنيف المعاجم، ومتطلبات الخيال

إن المستشرقين مثل كثير من مفكري القرن التاسع عشر الآخرين: يرسمون للإنسانية في أذهانهم صور جماعية ضخمة أو تعميمات تجريدية فالمشرقون لا يهتمون بالأفراد، ولكن السائد بدلا من هذا هو لكي ذات المصطنعة التي ربما كانت تضرب جذورها في مذهب الشعبية عند هيردر إذا لا تصادف إلا الحديث عن الشرقيين، أو الأسيويين، أو الساميين، المسلمين، أو العرب، أو اليهود، أو الأجناس البشرية، أو العقليات أو الأمم أو ما شابه ذلك من فئات بعضها من نتاج العمليات العلمية من النوع الذي نجده عند رينان[2].

وعلى غرار ذلك نرى أن التقسيم القديم الذي يميز "أوروبا" عن "آسيا" أو "العرب" عن "الشرق" يضع عناوين بالغة لاتساع لصور البشرية التي يضم كل منها في الواقع ما لا حصرته من الأشكال والألوان، وبذلك يختزلها في تجريد واحد أو تجددين جماعيين ناهئيين، ولم يكن ماركس، يمثل استثناءا في هذا الصدد، فالإشارة إلى الشرق الجماعي أيسر من الإشارة إلى هويات إنسانية وجودية في الأمثلة التي يستعين بها الإيضاح إحدى النظريات، واحتفاظ ماركس بالقدرة على الإحساس بعض مشاعر الأخوة الإنسانية والتعاطف ولو قليلا مع آسيا، ويحي بأن شيئا ما قد حدث قبل احتلال "العناوين" للساحة، وقبل أن يرسل به إلى جوته كمصدر للمحكمة بشأن الشرق، فكأنها كان الذهن المفرد (وهو في هذه الحالة ذهن ماركس)، قد استطاع العثور على طابع فردي في آسيا، سابق لتصورها

[1]– إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 221.

[2]– ينظر، المصدر نفسه، ص: 254.

في صورة جماعية، وسابق للنظرة الرسمية إليها، والاستلام بحد العثور عليه لضغوطه على عواطفه ومشاعره وحواش، لكن الذهن المفرد لا يلبث أن يتخلى عن هذا الموقف حين يواجه الرقيب الأشد جبروتا والمتمثل في المفردات نفسها التي يجد نفسه مرغما على استعمالها، وكان عمل هذا الرقيب هو إيقاف التعاطف ثم طرده من الذهن، كما تثبتت مفردات التعبير عن العاطفة عندما استلمت لإجراءات الشرطة "المعجمية"، التابعة للعلم الاستشراقي، بل وللفن الاستشراقي أي أن إحدى الخبرات قد جعلها تعريف معجمي، إذ يحدث وتكاد نشهد حدوث ذلك في المقالات الهندية التي كتبها ماركس، إذ يحدث آخر الأمر أن يزعمه شيء ما على العودة مسرعا إلى جوته، حيث يحتمي بصورة الشرق التي رسمها المستشرقون[1].

وكان ساسي ورينان يمثلان أعلى الترتيب للأسلوب الذي وضع به الاستشراق مجموعة من النصوص والمناهج التي تضرب بجذورها في فقه اللغة، الأمر الذي جعل الشرق يكتسب هوية عقلانية، جعلته غير مساو للغرب، واستدلالنا بحالة ماركس على تحلي مفكر من غير المستشرقين أول الأمر عن شواغله الإنسانية ثم اغتصاب التعميمات الاستشراقية لهذه الشواغل، يضطرنا إلى النظر في أساليب الدعم المعجمي والمؤسسي التي يتميز بها الاستشراق.

كما نجد أن الاستشراق حصل على الشرق بأقصى قدر يمكن من الحرفية وعلى أوسع نطاق ممكن، ومن ناحية أخرى جعل المعرفة به مألوفة للغرب، بعد أن جعلها تمر بمصفات القواعد التنظيمية، والتصنيفات والحالات التي تمثل عينات محددة، والمراجعات الدورية والمعاجم، وكتب النحو والشروح، والطبعات المتوالية، والترجمات، وكلها يمثل في صورة تحالي الشرق محاكاة ظاهرية وكلها تعيد تقديم الشرق في صورة مادية في العرب ومن أجل العرب.

إنّ الشرق كان يعزم تحويله من صورة الشهادات الشخصية وغير الواضحة أحيانا والتي كان يدلي بها من يقومون بالرحلات ومن أقاموا في الشرق إلى صورة غير شخصية يتولى تحديد معالمها صف كامل من الباحثين العلماء، أي تحويل الشرق من صورة الخبرات المتتابعة التي تأتي بها البحوث

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص، ص: 255- 256.

الفردية إلى متحف خيالي، أو إلى متحف بلا جدران، يصبح فيه كل ما جعل من أقاصي البقاع وشتى ضروب الثقافة الشرقية ممثلا للشرق بصورة قاطعة[1].

أما التنظيم المنهجي الذي وضعه الاستشراق لنفسه هو الحصول على المادة الشرقية ونشرها بصورة منتظمة باعتبارها ضربات من المعرفة المتخصصة، فالبعض ينسخ ويطبع كتب النحو، والبعض يحصل على نصوص أصلية، والبعض يضاعف أعدادها وينشرها على نطاق واسع بل ويوزع المعلومات على الناس في مطبوعات دورية، ولقد كتب لين كتابة، وضحى بذاته في إطار هذا النظام ومن أجله، ونحن نجد أيضا ما ينص على الطريقة التي يستمر بها عمله في أرشيفات الاستشراق ألا و هو إنشاء "متحف" حسبما يقول ساسي:

{مستودع هائل لجميع الأشياء، ومن شتى الأنواع من الرسوم}

ومن الكتب الأصلية والخرائط، وروايات الرحلات وإتاحتها لكل من يرغب في تكريس نفسه لدراسته (الشرق)، وذلك،

بأسلوب يمكن كل دارس من هؤلاء بأن يشعر بأنه انتقل كأنها يفعل السحر، إلى داخل قبيلة مثلا أو أصبح يعيش وسط أبناء الجنس الصيني، وفقا لما اختاره موضوعا لدراسته،

... ومن الممكن أن تقول ... إنه بعد الانتهاء من نشر كتب[2].

أساسيته في ... اللغات الشرقية، لن يكون لدينا ما هو أهم من وضع حجز الزاوية لهذا المتحف، وهو الذي أعتبره بمثابة تعليق حتى أو ترجمان ينطق بلسان المعاجم[3].

– الحجاج ورحلات الحج:

من بريطانيا وفرنسا

كان على كل أوروبي يسافر إلى الشرق أو يقيم فيه أن يحمي نفسه من ضروب تأثير الشرق القلق، ولقد لجأ كاتب مثل "لين" آخر الأمر إلى إعادة جدولة الشروق وتعديل موقعه عندما بدأ

[1]– إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 270.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص: 269.

[3]– ينظر، المصدر نفسه، ص: 269.

الكتابة عنه، فمظاهر الشذوذ في الحياة الشرقية، من التقاويم الزمنية العجمية، إلى التضاريس المكانية غير المألوفة، إلى اللغات ذات الغرابة الدافعة على اليأس، إلى الأخلاقيات التي تبدو منحرفة، تقل كثيرا عندما تتخذ صورة سلش من الموضوعات المفصلة والمقدمة في أسلوب النثر الأوروبي المعياري، ومن الصحيح أن تقول إن "لين" عندما أضغى الصورة الشرقية على الشرق لم يقف عند تحيد صورته الواقعية بل عدّلها ونفحها، أي إنه حذف منها كل ما يمكنه أن يؤذي الحساسية الأوروبية، بالإضافة إلى ما يمش وجوه تعاطفه الإنساني الشخصي[1].

كان الشرق يمثل ضروبا أخرى من التهديد بخلاف الجيش، وكانت جميعا تمحوا التقسيمات التي يقيمها الأوروبيون على أسس الزمان والمكان والهوية الشخصية، بل وتمحو عقلانية هذه المفاهيم لديهم، ففي الرشق كان المرء يواجه فجأة عراقة زمنية لا يتخيلها العقل، وبما لا غير إنساني، ومسافات لا تقف عند حدود، وهكذا فإن الشرق في قصيدة "إجاور" أي الأجنبي أو الأوروبي للشاعر "بايرون"، وفي ديوان الشرق والغرب الشاعر جوته، وقصيدة الشرقيون للشاعر فكتور هوجو، يتخذ صورة للانطلاق، وصورة الفرصة الأصلية، وهي التي تسمع نغمتها الرئيسية في قصيدة جوته "هجير".

الشمال والغرب والجنوب تتفتت

والعروض تنفجر والإمبراطوريات ترتعد

وتطير وفي الشرق النقي

تتنسم نسائم الشيوخ الحكماء[2].

كان المرء يعود دائما إلى الشرق "فإلى هناك في نقاء وصلاح سوف أعود إلى الأصول العميقة للجنس البشري"، ويرى فيه استكمالا وتأكيد الكل ما كان قد تخيله.

الله في الشرق.

والله في الغرب.

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 271.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 272.

وبقاع الشمال والجنوب.

تستقر في سكينة يديه[1].

لقد أصبح الشرق على امتداد القرن التاسع عشر كله، أي بعد بابليون مكانا يحج إليه، وكان عمل رئيسي ينتمي إلى الاستشراق الصادق، وإن لم يكن دائما أكاديميا، يتخذ شكله وأسلوبه ومقصده من فكرة الحج إلى الشرق، كما نجد في هذه الفكرة، مثلما نجد في الأشكال الأخرى الكثيرة الكانية الاستشراقية التي ناقشناها، أن الفكرة الرومانسية التي تقول بإعادة البناء الذي يشبع النفس تمثل المصدر الرئيسي.

كان كل حاج أو زائر للشرق يرى الأشياء من زاويته الخاصة، ولكن هناك حدود لا يمكن أن ترمي إليه رحلة الحج، وللشكل أو الهيئة التي يمكن أن تتخذها، وللحقائق التي يمكنها الكشف عنها، كانت جميع رحلات الحج إلى الشرق تمر بالأراضي المذكورة في الكتاب المقدس، أو كان عليها أن تمر بها، وكانت في الواقع محاولات للحياة من جديد في يد الواقع اليهودي المسيحي اليوناني الروماني، أو لتحرير قسم من ذلك الواقع، في الشرق المديد ذي الحميد الذي لا يصدقه العقل، كان الشرق الذي أضيفت عليه صورة الشرق الخاصة، يمثل التحدي الذي لابد من خوضه، مثلما كان الكتاب المقدس والحملات الصليبية والإسلام ونابليون والاسكندر سوابق مهيبة لها وزنها، ولم تكن صورة الشرق التي رسمها العلماء عائقا يعوق تأملات الحاج وتهويهات خيالة الخاصة فحسب، بل إن وجود هذه الصورة السابق للرحلة كان يقيم الحواجز بين المسافر المعاصر وبين كتابته، إلاّ إذا انفصلت صورة الشرق في كتب المكتبة عن تلك الكتب وانتقلت إلى المشروع الجمالي، على نحو ما حدث عندما انتفع بير قال[2]، وفلوبير بالمادة التي وجداها عند إدواردلين، وكان بعض الحجاج مثل شاتوبريان يزعم بوقاحة أنه قام برحلاته م أجل ذاته فحسب قائلا: "سأذهب بحثا عن صورة شعرية: هذا كل ما في الأمر" وأما قلوبير زقيني ونيرقال وكنجيلك ودزارائيلي وبيرتون فقد قاموا برحلاتهم جميعا لإزالة العفن الذي

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 272.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص، ص: 273-274.

كان يكسو الأرشيف الاستشراقي القائم من قبل وكان المعتزم أن تصبح كتابتهم مستودعا جديدا للخيرة بالشرق[1].

كان الحاج الفرنسي يغامره إحساس بالفقدان العميق في الشرق، إذ كان ياتي إمكان لم يكن لفرنسا فيه، على عكس بريطاني، وجودد سيادي وكان حوض البحر المتوسط يرجع أصداء هزائم الفرنسيين، من الحملات الصلبية إلى نابليون، وأما الذي أصبح يعرف باسم "المهمة الحضارية" فقد بدأ في القرن التاسع عشر باعتباره أفضل المتاح بعد المرتبة الأولى التي يختلها الحضور البريطاني، ومن ثم فإن الحجاج الفرنسيين من قولي فصاعدا كانوا يرسمون ويتخيلون وبتأملون الأماكن الموجودة في أذهانهم في المقام الأول، فأقاموا مشروعات لتأليف معزوفة موسيقية فرنسية الطابع، بل وربما أوروبية، في الشرق، وكانوت يقترضون بطبيعة الحال الشرق عندهم شرق الذكريات والأطلال الالموحية والأسرار المنسية، ويتمثل أسلوابا خاصا لوجود شبه قائم على قيم جمالية، وهو الشرق الذي كانت أعلى صوره الأدبية تتمثل في أعمال ثير قال وفقوبير[2].

كان الحجاج جميعا والفرنسيون منهم بصفة خاصة يستغلون الشرق في عملهم حتى يبرروا ملحا إلى حدا ما رسالتهم الوجودية، ولم يكون يستطاعون التحكم في دفقات مشاعرهم الذاتية إلا حين تبرز أغراض معرفية إضافية للكتابة في الشرق، إذ إن لامارتين مثلا يكتب عن نفسه وأيضا عن فرنسا باعتبارها قوة مسيطرة في الشرق، والمشروع الأخير هو الذي يكتم صوت الدوافع التي تمكن خلف أسلوبه، ويتحكم آخر الأمر في هذه الدوافع التي تمنيها روحه هو وذاكرته هو وخياله الخاص، وهكذا لم يستطيع أي من الحجاج فرنسيين كانوا أم انجليو، أن يسيطر السيطرة الصارمة على نفسه وعلى ذاته، مثلما فعل إدوارد لين، بل حتى ولاريتشارد يبرتون ولا لورنس[3].

فلقد كتب الأول ما يشبه رحلة الحج الإسلامية، وكتب الثاني ما كان يسميه رحلة عكسية الاتجاه، أي انطلاقا من مكة، وإذ قدما أكواما من المادة الاستشراقية التاريخية والسايسية والاجتماعية

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 274.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص، ص: 275-276.
[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 277.

دون أن تبرأ من وجود الذات على نحو ما رأينا عند لين، ولهذا فإن بيرون ولورتس، وتشالر داوتي يشتغلون موقفا وسطابين لين وشاتو بريان[1].

لقد كشف شاتو بريان عن مواهبة العظمى في الحديث المتعاطف حين استطاع تمثيل وتفسير ألغاز أمريكا الشمالية في محملته التي لم تكتمل عن الهنود الحمر وكذلك تمثيل وتفسير المسحية في كتابة "عبقرية المسيحية" ثم استشار الرق هذه المواهب فأثبت مزايدا من العظمة في قدرته على التفسير، خلال كتابة الرحلة المشار إليه، إذ لم يعد المؤلف يعالج هنا البدائية الطبيعية والعواطف الرومانية بل أصبح يعالج قدره الخلق الأزلية، والأصالة الوجانية اللتين استودعتنا أولا في الشرق الذي يصوره الكتاب المقدس، ومكثتا فيه في صورة كامنة دون أن يخرجهما أحد، ومن المحال بطبيعة الحال، إدراكهما بيسر وسهولة بل كان على شاتو بريان أن يطمح إليهما وينالهما[2].

عندما بدأ لامارتين رحلة إلى الشرق عام 1833م كتب يقول إنه قام بها باعتبارها شيئا طالما كان يعلم به: "فالرحلة إلى الشرق تشبه عملا كبيرا تقوم به حياتي الباطنة"، وهو يرحل محملا بالميول المسبقة، وضروب التعاطف والانحياز، فهو يكره الرومان وقرطاجنة، ويحب اليهود والمصريين والهندوس ويرغم أنه سوف سيكتب الملحمة الخاصة بهم مثل ذاتي، وبعد أن يتسح بقصيدة "وداع" رسمية لفرنسا يذكر فيها كل ما يعتزم عمله في الشرق، يبحر إلى الشرق، كان كل ما يقابله أول الأمر إما يؤكد نبوءاته الشعرية أو يحقق ميله إلى المقارنة والتشبيه[3].

وقد جاء نيرقال وفلوبير إلى الشرف، بالإضافة إلى موافقهما العامة، بأساطير شخصية كانت شواغلها بل وبناؤها، في حاجة إلى الشرق، كان الرجلان قد تأثرا "بالنهضة الشرقية" بالصورة التي حددها لها كينيه وغيره، فكانا ينشدان الإنعاش الذي يأتي به كل ما يتسم بالقدم إلى حد الخرافة إلى حد الخرافة وكل ما هو غريب عجيب، ولكن رحلة الحج إلى الشرق كانت تمثل لكل منهما رحلة بحث عن شيء شخصي نسبيا، فكان فلوبير يسعى في سبيل العثور على وطن تعبير جان برونو في

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 277.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 281.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 286.

المواقع التي شهدت أصل الأديان والرؤى والعراقة الكلاسيكية السخيفة[1].وكان نيرقال يسعى وزار عواطفه وأحلامه الشخصية، مثل شخصية بوريك التي رسمها الروائي لونس ستيرن في مواعظ الأستاذ بوريك من قبله.

الفصل الثالث للكتاب: الإستشراق الأن:

-الاستشراق الكامن والاستشراق السافر

انطلق ادوارد سعيد في دراسته للاستشراف بمجموعة من الافتراضات التي تقول بأن مجالات البحث العلمي، شأنها في ذلك شأن الأعمال الفنية، حتى أشدتها غرابة، تخضع لقيود ومؤثرات يفرضها المجتمع، وتفرضها التقاليد الثقافية، وظروف الحياة، كما تخضع لتأثير العوامل التي تهيء لها الاستقرار مثل المدارس والمكاتب والحكومات، وتقول هذه الافتراضات أيضا إن الكتابة العلمية والإبداعية لا تتمتع قط بالحرية، بل هي محدودة في صورها وافتراضاتها ومقاصدها، كما تقول أخيرا إن مظاهر التقدم التي يحررها "علم" مثل الاستشراق في صورته الأكادمية يقل صدقه الموضعي من الدرجة التي كثيرا ما تتصور أنه حققها، أو بعبارة موجزة إن دراسته قد حاولت حتى الآن أن تصف الاقتصاد الذي يتيح للاستشراق أن يصبح مادة موضوع متماسكة المعنى، حتى مع التسليم بأن كلمة الشرق، باعتبارها فكرا أو مفهوما أو صورة، ذات أصدقاء ثقافية كبيرة ومهمة في الغرب[2].

الشرق الذي يظهر في الاستشراق نظام من نظام الصور التي تمثله والتي صاغتها مجموعة كبيرة ن القوى التي أدخلت الشرق في مجال العلوم الغربية، والوعي الغربي، وبعد ذلك بفترة في إطار الإمبراطورية الغربية، وإذا كان هذا التعريف للاستضراق يتم بملامح سياسية، فالسبب هو في اعتقاد إدوار سعيد أن الاستشراق نفسه كان من ثمار بعض القوى والأنشطة السياسية، فالاستشراق مدرسة من مدارس التفسير، تصادف أن كانت مادتها تتمثل في الشرق وحضاراته وشعوبه ومناطقه، وأما مكتشفاته الموضوعية، التي قام بها عدد ووضعوا أكتب النحو، وألفوا المعاجم، وأعادوا رسم صور

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 290.

[2]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 318.

الحقب المبتة، وتوصلوا إلى نتائج علمية إثبات صحتها بطرائق وضعية، فقد تشكلت وكانت دائما تخضع لحقائق مجسدة في اللغة، مثل جميع الحقائق التي تأتينا اللغة بها[1].

كانت الأطروحات الخاصة يتعلق الشرق وانحطاطه وعدم مساواته بالغرب ترتبط بالغرب ترتبط بيسر بالغ في أوائل القرن التاسع عشر بالأفكار الخاصة بالأسس البيولوجية، للتفاوت العنصري، وهكذا فإذا التصنيفات العنصرية التي تجدها في الكتاب الذي وضعه كوفييه بعنوان "المملكة الحيوانية" وكتاب "جوبيونو مقال عن تفوت الأجناس البشرية"، وكتاب روبرت نوكس بعنوان "أجناس البشر السمراء"، وجدت مذهب داروبي، من الدرجة الثانية، وكان فيها يبدو يؤكد ويبرز الصحة العلمية لتقسيم الأجناس البشرية إلى أجناس متقدمة وأجناس مختلفة، أو إلى أجناس أوروبية برمتها، في الإطار الذي ناقشها فيه مؤبد والإمبريالية ومعارضوها، في أواخر القرن التاسع عشر، تزيد من دعم التقسيم إلى نمطين متصلين، ما هو متقدم وما هو مختلف، من الأجناس والقافات والمجتمعات، إذ نرى جون وسيتك يقول في كتابة فصول في "مبادئ القانون الدولي 1894"، إنه يجب على الدول المتقدمة أن تضم أو تحل مناطق الأرض توصف بأنها غير متحضرة، وهو تعبير يحمل فيها يحمله ثقل الافتراضات الاستشراقية، وعلى غرار ذلك نجد أن أفكار بعض الكتاب مثل :(كارل بيتر، وليوبولد دى سوير، وتشارلز تمبل) تستند إلى التقسيم الثنائي بين المتقدم والمتخلف، وهو التقسيم الذي يقع في قلب الدعوى الاستشراقية في أواخر القرن التاسع عشر[2].

كان الاستشراق الكامن يشجع تصورا ذكوريا خاصا للعالم، ولقد سبق لإداوارد سعيد أن أشارة عابرة إلى ذلك أثناء مناقشة لرينا، فكان الكتاب يبحثون أمر الرجل الشرقي بعد عزته عن المجتمع الكلي الذي يعيش فيه، وهو المجتمع الذي كان الكثير من المستشرفين يقتفون خطى إدوارد لين في النظر إليه نظرة تشبه نظرة الاحتقار والخوف، وكان الاستشراق نفس إلى جانب ذلك، مجالا مقصورا على الذكور.

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 319.

[2]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص،ص: 324-325.

وكان يشترك مع كثير من الطوائف المهنية في العصر الحديث في النظر إلى مادة موضوعه بغممات التحيز للرحل، ويتضح ذلك بصفة خاصة في كتابات الرحالة والروائيين حيث نجد أن المرأة عادة ما تكون كائنات عادة ما تكون كائنا خلقت أوهام السلطة وخيالاتها عند الرجل.

لقد سلك الاستشراقمنهجين رئيسيين يف تقديم الشرق إلى الغرب في مستهل القرن العشرين، كان الأول يتسول بطاقات العلم الحديث على الانتشار، أي يعتمد على جهاز النشر في المهن العلمية، في الجامعات والجمعيات المهنية، والمنظمات الكشفية والجغرافية، وصناعة نشر الكتب والمطبوعات، وكانت هذه جميعا تبنى على أساس المكانة الرفيعة الموثوق بها للرواد من الباحثين والرحلة والشعراء، وهو الذين أدت رؤاهم التراكمية إلى تشكيل الصورة التي تمثل جوهر الشرق، وأما الصورة المذهبية العقائدية لذلك الشرق فهي التي أطلقت عليها تعبير الاستشراقي الكامن[1].

اكتسبت مكتشفات الغربيين عن الشرق الحديث طابع الإلحاح والعجلة، وهو الذي صاحب اتساع الأملاك الغربية في الشرق، وهكذا كان التعريف الذي يضعه الباحث المستشرق لها يمثله الشرق جوهره يقابل أحيانا بالنقص، وإذا كان يلقى التأييد في حالات كثيرة بعدما أصبح الشرق في الواقع التزاما إداريا فعليا، ولاشك إن نظريات كرومر عن الشرقي، وهي النظريات التي استقاها من الأرشيف الاستشراقي التقليدي قد صادمة وقائع كثيرة تؤكد صحتها عندما تولى الحكم الملايين من الشرقيين في الواقع الفعلي، وهذا يصدق بالدرجة نفسها على خبرة الفرنسيين في يوريا وفي شمال إفريقيا، وغيرهما من المستعمرات الفرنسية، أو ما كان في حكم الستعمرات، وأما أبرز صور التلاقي بين عقائد الاستشراق الكامن وبين خبرة الاستشراق السافر فلم تشهدها فترة مثل فترة تطلع بريطانيا وفرنسا إلى تمزيق الأراضي التابعة لتركيا في آسيا، نتيجة للحرب العالمية الأولى، كان رجل أوروبا بالمريض أي الدولة العثمانية يتلقى على منضدة العمليات استعداد للجراحة، ويكشف عن جميع مناحي ضعفه، وخصائصه، وحدوده المكانية، أو الطبوغرافية[2].

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 319.

[2]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 346.

-الأسلوب والخبرة والرؤية الطابع الدنيوي للاستشراق

كانت صورة الرجل الأبيض التي رسمها كيلنج، في قصائد كثيرة وفي روايات مثل كيم، وفي عدد من العبارات الشائعة التي تحول كثؤتها دون اعتبارها ساخرة، صورة تمثل فكرة أو قناعا أو أسلوب للوجود، ويبدوا أنها أفادت كثيرا من البريطانيين أثناء وجودهم خارج بلادهم، إذا كان لو بشرتهم يميزهم تميزا قاطعا، ويبعث الطمأنينة في النفس، ولكن البريطاني الذي كان ينتقل بين الهنود أو الإفريقيين أو العرب، كان يعلم علم اليقين كذلك مدى انتمائه إلى الذخيرة الروحية لتقاليد المسؤولية الإدارية الطولية الأمد عن الأجناس الملونة وإمكان استفادته منها، ولقد قصد كيلنج أن يكتب عن هذه التقاليد، وعن أمجادها، وصعوباتها، عند ما كتب قصيدة واختفاء وتحية للطريق الذي سلكه الرجال البيض في المستعمرات، ومن ثم فإن بياض البشرة كان يمثل فكرة وحقيقة واقعة، ويتبع اتخاذ موقف عقلاني تجاه العالمين الأبيض وغير الأبيض[1].

إن الظرف الذي يشترك رسم صورة الرجل الأبيض مع نشأة الاستشراق فه المجال الذي يتحكم فيه كل منهما، وهو الزاوية التي نرى منها كيف يستبتع مثل هذا المجال طرائق خاصة بل وشعائر خاصة للسلوك والتعلم والاستلاك، فالغربي وحده على سبيل المثال، هو الذي يستطيع أن يتكلم عن "شرقيين"، مثلما كان الرجل الأبيض هو الذي يستطيع أن يشير إلى "الملونين"، أو الأجناس غير البيضاء، ويسميها بأسمائها، وكان كل قول يقوله المستشرقون أو أصحاب البشرة البيضاء يشير إلى المسافة التي من المحال تقليلها والتي تفصل الملون من الأبيض، أو الغربي عن الشرقي[2].

الحقيقة الخاصة بالفوارق التي تميز الأجناس والحضارات واللغات بعضها عن البعض، كانت تعتبر أو تتظاهر بأنها حقيقة جذرية لا يمكن إقتلاءها، وكان المعتقد أنها تضرب بجذورها في الأعماق، فتزعم أنه لا مهرب من الأصول، ومن الأنماط التي لولا هذه الأصول ما نشأت، وأنها ترسم الحدود الحقيقية فيما بين البشر، وهي الحدود التي تبنى عليها الأجناس والأمم والحضارات، كما أنها تحول

[1]- ينظر، المصدر نفسه، ص: 352.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 355.

اتجاه النظر فتصرفه عن الحقائق الإنسانية مثل الفرح والمعانات والتنظيم السياسي وتزعم الناظر على الرجوع إلى الأعماق حيث الأصول لا تتغير ولا تتبدل[1].

كانت قدرة إدوارد لين على تناول المصريين باعتبارهم بشرا لهم حضور راهن وباعتبارهم، في نفس الوقت، أمثلة تؤكد صحة وجود نوع خاص منفرد من البشر من الدوال الخاصة بمبحث الاستشراق، وبالآراء الشائعة عن المسلمين أو الساميين من أبناء الشرق الأدنى، كان الساميون الشرقيون خير من يمكن المستشرق من مشاهدة الحاضر والأصل معا، إذا أصبح من أيسر تفهم اليهود والمسلمون، باعتبارهم موضوع دراسته، بسبب أصولهم "البدائية"، وكان ذلك حجز زاوية الاستشراق الحديث، وكان رينان يعتبر الساميين نموذج لتوقف التطور والنمو، وأصبح ذلك من زاوية التطبيق العلمي، أنه كان من المجال على المستشرق أن يسلم بقدرة أي سامي حديث مهما يكن إيمانه بأنه حديث، على تخطي المسافة التي تفضله عن أصولهم، وفي الأصول التي تتحكم في تنظيم حياته، ولقد كانت دراسة سميث للساميين تشمل عدة مجالات مثل اللاهوت والأدب والتاريخ، وقد أبدى فيها وعيه الكامل بالعمل الذي أنجزه المستشرقون على سبيل المثال، الهجوم الضاري، الذي شنه سميث في عام 1887، على كتاب رينان (تاريخ شعب إسرائيل)، والأهم من ذلك أن دراسته كانت تهدف إلى المساعدة في فهم الساميين المحدثين، ويعتقد إدوارد سعيد أن سميث كان حلقة أساسية من حلقات السلسلة الفكرية التي تربط "الخبير ذا البشرة البيضاء" بالشرق الحديث[2].

الواضح أن المستشرق غير ملتزم بمبادئ الهوية وعدمك التناقص، إذ تسيطر عليه الخبرة الاستشراقية القائمة على الحقيقة الجماعية الدامغة التي تقع في نطاق الفهم الفلسفي والبلاغي لدى المستشرق، فلم يدفع بعد المطلوب من الخبير الشرقي أن يقتصر على"الفهم" فحسب، بل كان ينبغي عليه أن يدفع الشرق إلى آداء دورما، وينبغي عليه تجنيد قوته للعمل في صفوف ما لدينا نحن من قيم

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 362.

[2]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 365.

وحضارة ومصالح، وهكذا تتحول المعرفة بالشرق أو نترجم ترجمة مباشرة إلى نشاط معين، يؤدي نتائجه أو تنشئ تيارات جديدة في الفكر والعمل في الشرق[1].

إذا نظر إلى التاريخ الإنساني باعتباره تيارات من التطور، أو خيطا قصيصا، أو قوة دينامية تتجلى بانتظام وفي صورة مادية في الزمان والمكان، وجدنا أن هذه النظرة الاستشراقية تضع التاريخ الإنساني للشرق أو الغرب في مرتبة ثانوية بالنسبة للصور المثالي للشرق والغرب، أي تصور وجود جوهر ثابت لكل منهما، وإحساس المستشرق بأنه يقف على حافة الحدود الذي يفصل بين الشرق والغرب يجعله لا يتقصر على الحديث بلغة التعميمات الفضفاضة، بل إنه يحاول أيضا تحويل كل جانب من جوانب الحياة الشرقية أو الحياة الغربية إلى سمة مباشرة من سمات هذا النصف الجغرافي أو ذاك[2].

والتناوب بين الذات "الخبيرة" في كتابات المستشرق وبين الشهادة التي يدلى بها، وهو الذي يبين أن تلك الذات تمثل الغرب، يتخذ بوضوح شديد صورا بصرية.

إن ليفي لا يواجه مشكلة في ربط الاستشراق بالسياسة، فمن المحال إنكار التدخل الغربي الطويل، أو الذي أطيل أمده، في الشرق، سواء من حيث عواقبه بالنسبة للمعرفة أو من حيث تأثيره في ابن البلد شيء الحظ، سواء من حيث عواقبه فالجبان قد يؤديان مجتمعين إلى مستقبل يتهدد أهله، وعلى الرغم مما يعتبر عنه ليقي من نزعة إنسانية وما يبديه من حرص على غيره من البشر، فإنه يرسم في ذهنه صورة للحضارة تتميز تضيق وتحديد بغيض، فهو يتصور أن الشرق يشعر بأن غالض يتعرض للتهديد من جانب حضارة فائقة، ولكن دوافعه لا تصدر عن رعية إيجابية في الحرية أو الاستقلال السياسي أو الإنجاز الثقافي من حيث هي غايات مطلوبة في ذاتها بل تصدر عن حقد أو عن ضغينة الحسود[3].

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 369.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 382.

[3]- إدوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 386.

-الاستشراق الأنجلو فرنسي الحديثفي أوج ازدهاره

لقد شغل إدوارد سعيد في معظم الفصلين الأولين م هذا الكتاب بتقديم حجج مماثلة بشأن الفترات التي سبقت هذه الفترة في تاريخ الفكر الاسشتراقي، وأما التمييز الذي يهمنا هنا في هذه الفترة من تاريخ الفكر فهو التمييز بين الفترة التي سبق الحرب العالمية الأولى مباشرة، والفترة التي تلتها مباشرة، وفي كلتا الحالتين شأنهما شأن الفترات الأسبق يوصف بأنه شرقي وحسب مهما يكن الموضوع المحدد المطروح، ومهما يكن الأسلوب أو فن الصنعة المستخدم في وصفه، ولكن الفترتين المشار إليهما تختلفان في السبب الذي يقدمه المستشرق لرؤية الطابع الشرقي الجوهري للشرق، ونجد مشالا لهذا السبب في فقرة كتبها سنرك هيجروي، فيالمراجعة التي كتبها عام 1899، لكتاب إدوارد ساخاو وبعنوان القانون المحمدي، يسمح المفهوم تجريدي مثل القانون الإسلامي بأن يستلم أحيانا لضغوط التاريخ والمجتمع، لأن القانون الإسلامي بخطوطه العريضة يؤكد التفاوت ما بين الشرق والغرب، لم يكن التمييز بين الشرق والغرب عند هيروجروبني مجرد قالب لفظي أكاديمي أو شعبي، بل على العكس إذ كان يعني له علاقة القوة الجوهرية والتاريخية بين الجانبين[1].

ونجد فقرة مناظرة تقريبا لما يقوله هيرجروبني وهي الفقرة الخاتمية في مقال جيب عن "الأدب" وكتابة تركه الإسلامي المنشور عام 1931، إذ إنه وبعد أن يصف ثلاثة لقاءات عارضة بين الشرق والغرب حتى القرن الثامن عشر، يصل في حديثه إلى القرن التاسع عشر قائلا.

وبعد هذه اللحظات الثلاث من التلاقي العارض، عاد الرومانسيون الألمان إلى الاهتمام بالشرق من جديد، وكان الهدف الذي قصدوا إلى تحقيقه لأول مرة أن يفتحوا الطريق والسيطرة في القرن التاسع عشر كان، فيما يبدو، يغلق الباب في وجه مطلبهم إغلاقا حاسما، وأما اليوم ولنا بعض دلائل التغيير، إذ بدأت من جديد دراسة الأدب الشرقي في ذلته من أجله، وبدأنا نفهم الشرق فيما جديد، وبانتشار هذه المعرفة واستعادة الشرق للمكانة الحقيقية به في حياة الإنسانية، فربما عاد الأدب

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراف، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 395.

الشرقي إلى آداء وظيفته التاريخية، ومساعدتنا في التحرر من المفاهيم الضيقة الخانقة التي من شأنها قصر كل ما هو مهم في الأدب والفكر والتاريخ على المساحة التي نشغلها على الكرة الأرضية.

وعلى الرغم من استدعاء جيب، قبل ذلك، لفكرة الشاعر الألماني جيته عن الأدب العلمي، فإن دعوة جيب إلى التفاعل الحيوي، على المستوى الإنساني، بين الشرق والغرب، يتجلى الأوروبية على الشرق لا تزال قائمة، ولكنها تورطت وأقصد في مصر تحت الاحتلال البريطاني، فبعد أن كان الأهالي يكادون يقبلون وجونها دون معارضة، أصبحت قضية سياسية يشتد الخلاف حولها يوما بعد يوم، وتزيد من تعقيدها مطالب الاستقلال الوطنية المناوئة لتلك السيطرة، فلقد كابدت بريطانيا سنوات الكفاح الذي قاده وغول وحزب الوفد وما إلى ذلك بسبيل، أضف ذلك ما يشهده العالم عام 1925م، من كاد اقتصادي عام وهو الذي أدى إلى زيادة التوتر الذي يتجلى في نثر جيب[1].

التي كانت ترى في الشرق "علاجا" للعرب، وهي التقاليد التي نجد أولى إشاراتها في كينيه، وقد جمع ماسينيوس بينها وبين لون من التراحم المسيحي.

– الصور التي تمثل الاستشراق في الثقافة الأوروبية تتصف بما نستطيع أن ندعوه الاتساق المنطقي، وهو اتساق في الثقافة فحسب بماله من تاريخ بل أيضا بوجود مؤسسي وعلى نحو ما ذكرت عن رينان، فقد كان هذا الاتساق شكلا من أشكال الممارسة الثقافية أو نظاما من الفرص المتاحة لوضع المقولات عن الشرق، وما أقوله بشأن هذا النظام لا ينحصر في كونه تصويرا يسيء تمثيل "جوهر" مفترض للشرق، إذ لا أعتقد مطلقا أن للشرق أي جوهر، ولكن مرماي هو أنّ هذا التصوير "التمثيلي" يعمل في سبيل تحقيق عرض ما، شأنه في ذلك شأن كل تصوير "عادة"، كما إنه يعمل وفقا لاتجاه معين، وفي إطار تاريخي وفكري بل واقتصادي محدد[2]

– لقد شهدنا كيف كان جيب يكتب بأسلوب يتم بهدوء عن عدم اكتراث وإن كان في حقيقته يعتمد على التتابع المنطقي العميق، ورأينا كيف كان ما سينيوس يتمتع بملكه الفنان الفطرية،

[1]– ينظر: المصدر نفسه، ص: 404.

[2]– إدوارد سعيد، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 419.

ولا يرى مغالاة في أيّ إشارة يأتي بها ما دامت تخضع لموهبته التفسيرية الفذة، ولقد تمكن هذان الباحثات من الدفع بما يتمتع به الاستشراق الأوروبي من سلطة، وهي التي تقوم في جوهرها على توحيد مذاهبها، إلى أقصى مدى تستطيع بلوغه، أمّا الواقع الجديد الذي ظهر في أعقابهما- وهو الأسلوب المتخصص الجديد، فكان بصفة عامة، أبخلو أمريكيا، وكان بصفة خاصة، يتمثل في لغة العلوم الاجتماعية، الأمريكية، وفي هذا الواقع الجديد انقسم الاستشراق القديم إلى أجزاء كثيرة، لكنها ظلت جميعا تخدم العقائد الاستشراقية التقليدية[1]

-آخر مرحلة:

- بدأ ظهور شخصية العربي المسلم في الثقافة الشعبية الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية، وبصورة أوضح بعد كل حرب بين العرب وإسرائيل، وذلك حتى بعد الاهتمام الشديد الذي بدأ العربي يحظى به في الحياة الأكاديمية، وفي عالم تخطيط السياسات، ودنيا التجارة والأعمال، وهو ما يرمز إلى تغير كبير في التشكيلات الدولية للقوى، إذ لم تعد فرنسا وبريطانيا، تشغلان الموقع الرئيسي على مسرح السياسة العالمية، بعد أن حلّت السلطة الأمريكية المهيمنة محلّها، وظهرت شبكة شاسعة الأطراف من المصالح التي تربط ما بين جميع مناطق العالم التي كانت مستعمرة، وبين الولايات المتحدة، كما إن فروع التخصص الأكاديمي التي انتشرت أصبحت تقوم على تقسيم جميع المباحث اللغوية السابقة التي كانت أوروبا مقرا لها، مثل الاستشراق، فلدينا الآن ما يسمى "المتخصص في منطقة ما" وهو الذي يزعم الخبرة بذلك الاقليم، ويضع تلك الخبرة في خدمة الحكومة أو رجال الأعمال أو كليهما، وهكذا فإن المعرفة الهائلة، شبه المادية، المختزنة في حوليات الاستشراق الحديث على نحو ما سجلها، مثلا جول مول في التوثيق المحكم الذي أعده على ذلك المجال في القرن التاسع عشر، قد تعرضت "للتذويب" والدفع بها إلى أشكال جديدة، وأصبحنا نشاهد الآن ضروبا منوعة من الصور "المهجنة" التي تمثل الشرق وهي تنتقل في الثقافة من مكان لمكان[2].

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 435.

[2]- إدوارد سعيد، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 436.

1- الصور الشعبية والصور التمثيلية في العلوم الاجتماعية:

- لابد لأمثال هذه البرامج أن تكتسي كسرة ليبيرالية، وهو العمل المنوط بالباحثين، ذوي النوايا الحسنة والمتحمسين، فالفكرة التي تلقي التشجيع هي أننا إذا درسنا الشرقيين أو المسلمين أو العرب، فسوف نستطيع "نحن" أن نعرف شعبا آخر، وأسلوب حياته وتفكيره وهلم جرًّا، ومن الأفضل دائما، تحقيقا لهذه الغاية، أن ندعهم يتكلمون بألسنتهم، وأن يمثلوا ذواتهم، حتى ولو كانت تكمن خلف هذه الخرافة عبارة ماركس، التي يوافق لاسويل عليها، عن لويس نابليون، وهي "لا يستطيعون تمثيل أنفسهم، لابد أن يمثلهم غيرهم "ولكن ذلك لا يصدق إلا إلى حد ما، وحتى لا نتسرع تنتهي مباشرة إلى استنتاج بسيط يقول إن المجلة رأت أن العرب لا يستطيعون تمثيل أنفسهم، يحسن بنا أن نتذكر أن العرب واليهود في هذه الحالة ساميون (بالوصف الثقافي العريض الذي ناقشه في هذا الكتاب) وأنّ بالمجلة فرضت على الجانبين أن يمثلهم غيرهم أمام جمهور غربي[1]

2- سياسة العلاقات الثقافية:

يبدأ التاريخ بفصل كتبه عرفان شهيد عن جزيرة العرب قبل الإسلام، وهو فصل يرسم الصورة العامة بذكاء للتناغم المثمر بين الطبيعة الجغرافية والاقتصاد البسري، وهو الإطار الذي ظهر فيه الإسلام في القرن السابع، ولكن ما عسى أن يقول المرء إن شاء الإنصاف عن تاريخ للإسلام يعرّفه هولت في مقدمته، بنبرة استخفاف إلى حد ما، بأنّه "توليفة ثقافية"، وهو ينطلق في السرد من تاريخ العرب في الجاهلية إلى فصل عن بعثة النبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم، ثم يأتي بفصل آخر عن الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية، دون أن يتوقف ولو لحظة ليصف الإسلام باعتباره شرعة للعقيدة أو الإيمان أو المذهب، والقارئ يقرأ مئات الصفحات في المجلد الأوّل فلا يفهم منها إلا أن الإسلام لا يعني إلا تسلسلا زمنيا متصلا للمعارك، وتوالي الحكام، والوفيات، وأيام النصر والازدهار، وسرد المن يجيئون ومن يذهبون بأسلوب تلعب عليه نبرة واحدة مملة كئيبة.

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 447.

العصر العباسي مثلا، من القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر: إن كل من لديه ولو إلمام طفيف بالتاريخ العربي أو الإسلامي يعرف أنه كان يمثل إحدى در الحضارة الإسلامية، وفترة رائعة في التاريخ الثقافي مثل فترة ازدهار النهضة الأوروبية في إيطاليا، أمّا تعريف البلدان الإسلامية الرئيسية فيستبعد شمال إفريقيا والأندلس، وتاريخ هذه البلدان يمثل مسيرة منتظمة من العصور القديمة إلى العصور الحديثة.

3- مجرد إسلام:

إنّ السبب الرئيسي للصراع السياسي وإمكان نشوب الثورة في كثير من بلدان الشرق الأوسط، وكذلك في أفريقيا وآسيا اليوم، هو عجز النظم والحركات الوطنية الراديكالية المزعومة عن التصدي لمشكلات الاستقلال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ناهيك بجلها، وما لم تتمكن دول الشرق الأوسط من السيطرة على نشاطها الاقتصادي وإنشاء أو إنتاج التكنولوجيا الخاصة بها، فسوف يظل دخولها المجال الثوري محدودا، إذ ستظل تفتقر إلى المقومات السياسية في أي ثورة.

أي أن العرب مدانون سواء قاموا بالثورة أو لم يقوموا بها، وفي إطار هذه السلسلة من التعريفات الممزقة المفتتة، تظهر الثورات في صورة تهويمات أذهان تغاني من الخبل الجنسي، ولكن التحليل الدقيق يبين أن هذه الأذهان عاجزة حتى عن الخبل الذي يحترمه قاتيكيونيس حقًا، فهو إنسان لا عربي، وهو مجسد لا مجرد، وهو بريء من الجنس ولا جنسي[1]

وأمّا واسطة العقد العلمية في مجموعة قاتيكيوتيس فهي المقال الذي ساهم به برناردلويس بعنوان "المفهومات الإسلامية للثورة" وتبدو استراتيجية الكاتب هنا مشدبة، وكثير من القراء يعرفون معنى كلمة الثورة العربية جين تكتب بحروف لاتينية، وقاتيكيوتيس يشرحها أيضا في مقدمته، ولكن لويس لا يشرح معنى كلمة ثورة العربية إلا في نهاية مقاله بعد أن يناقش مفهوم الكلمات العربية دولة وفتنة وبغاث في سياقها التاريخي وسياقها الديني الدقيق.

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، تر: محمد عناني، رؤية للشنر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص ص: 461، 462.

والمعنى الذي يرمي إليه أساس هو أن "المذهب العربي لا يقضي بالحق في معرضة الحكومة الظالمة مذهب غريب على الفكر الاسلامي"، الذي يؤدي إلى "الإنهزامية" وإلى "السلبية" في المواقف السياسية[1]

والغرض الجدلي لا العلمي عندلويس في نصوص أنّ الاسلام عقيدة معادية للسامية لا مجرد دين، وهو لا يواجه صعوبة منطقية تذكر في محاولة القول بأنّ الاسلام ظاهرة جماهيرية مخيفة وإن كانت في الوقت نفسه "ليست ذات طابع شعبي حقيقي"، ولكن هذه المشكلة لا تعوقه طويلا، فكما نرى في الصورة الثانية للقصة المعرضة التي يرويها، يواصل لويس حديثه حتى يعلن أنّ الاسلام ظاهرة غير عقلانية تستلهم منطق "القطيع" أو الجماهير وتسيطر على المسلمين بالانفعالات والغرائز وضروب الكراهية الخالية من الفكر[2]

4- الشرقيون الشرقيون الشرقيون:

لا تستطيع تفسير جوانب الفشل المنهجي للاستشراق بأن نقول إن الشرق الحقيقي يختلف عن الصور التي يرسمها المستشرق له، ولا بأن نقول إنه ما دام المستشرقون، غربيين في معظمهم، فلا يمكن أن نتوقع منهم أن يدركوا حقيقة الشرق الباطنة فكل من هذين الافتراضيين فاسد، ومع ذلك فإن الاستشراق، رغم أوجه الفشل المذكورة، ورطانته المؤسفة، ونرعته العنصرية التي لا تكاد تخفي، وجهازه الفكري الهزيل، يزدهر اليوم بالأشكال التي حاولت وصفها، ويحق لنا أن نعتبر أن التكيف بين الطبقة المثقفة وبين الإمبريالية الجديدة يعد انتصارا من انتصارات الاستشراق الخاصة، في تلك البقعة من بقاع الشرق، فالعالم العربي اليوم تابع فكري وسياسي وثقافي يدور في فلك الولايات المتحدة، وليس هذا في ذاته ظاهرة يؤسف عليها، لكن ما يؤسف له هو شكل علاقة التبعية المذكورة[3]

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص 478.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 482.
[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 488- 489.

يؤمن إدوارد سعيد إيمانا قاطعا على نحو ما حاول إيضاحه في أعماله الأخرى، بأن المبخرات الجارية اليوم في العلوم الإنسانية تكفي لتزويد الباحث المعاصر بالأفكار والمناهج والنظريات الثاقبة القادرة على إقصاء الأنماط العنصرية والإيديولوجية والامبريالية، وهي الأنماط الثابتة التي أنشأها الاستشراق أثناء صعود نجمة وسطوعه على نر التاريخ، ويرى أن فشل الإستشراق فشل إنساني بقدر ما هو فشل فكري، إذا إنه حين دُفع دفعا إلى اتخاذ موقع معارضة لا يمكن اختزاله إزاء منطقة من مناطق العالم يعتبرها أجنبية غريبة عنه، قد عجز عن التعاطف أو التوحد مع الخبرة البشرية بل وعجز عن إدراك أنها خبرة بشرية، وممن الممكن الآن تحدّي السيطرة العالمية للاستشراق وكل ما يرمز له، إذا استطعنا أن نستفيد استفادة صحيحة مما شهده القرن العشرون بوجه عام من ارتفاع مستوى الوعي السياسي والتاريخي لعدد كبير من شعوب العالم، وإذا كان لمعرفة الاستشراق أي معنى فإنه يمكن في كونه تذكير بالتدهور المغوي للمعرفة، أية معرفة، في أي مكان، وفي أي زمان، وربما يصدق هذا على العصر الحاضر أكثر مما يصدق على الماضي[1]

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص: 497.

نقد
وتقويم

أخذ البعض على موقف "إدوارد سعيد" أنه خلط بين مواقف وآراء المستشرقين الأكاديمية وبين آراء بعض الرحالة أو الموظفين في الحكومات الاستعمارية أو أهل الأدب، فيقول المستشرق الفرنسي "كلود كوهين" في ذلك منتقدًا "إدوارد سعيد": "هو لا يميز بالشكل الكافي بين الأدبيات الاستشراقية المبتذلة أو الصحافية، وبين بحوث العلماء الحقيقيين، لذا فإنه يرتكز أخطاءًا فاحشة ويقع في ظلم كبير".

ويوافقه على ذلك "بيونارد لويس" بقوله: "إن سعيد يلجأ أحيانا إلى حشر سلسلة من الكتاب في دائرة الاستشراق دون أن تكون لهم أي علاقة به، نذكر من بينهم أديبين هما: "شاتوبريان"، "وجيرار دوينرفال"، أو مدراء إمبراطوريين كاللورد "كرومر" أو غيره، لا ريب أن عمال هؤلاء قد ساهمت في تشكيل المواقف الثقافة الغربية، ولكن لا علاقة لها إطلاقا بالتراث الأكاديمي الاستشراقي[1]

كما رد "رودنسون" على أطروحات إدوارد سعيد الواردة في كتابه "الاستشراق"، بالقول إن المستشرقين الأوربيين ليست لديهم كلهم النية المبينة للتآمر على الشرق وإحتلاله، وضرب مثلا بالألمان، الذين لم يحتلوا أيًا من بلدان الشرق، بل كانوا متعاطفين مع سكانه.

وما تجدر الإشارة إليه أن "رودنسون" لم يكون يحب مصطلح المستشرق، فحسب تصوره أن الاستعمار شوهه، ولذلك كان يعتبر نفسه مستعربًا. همه الإطلاع على الثقافة العربية والاسلامية" ([2])

أما عربيا فظهرت مواقف مناهضة لمذهب إدوارد سعيد في الاستشراق، منهم المفكر السوري "صادق جلال" في مقال شهير نشر عام (1981م) حمل عنوان (الاستشراق والاستشراق معكوسًا) ثم أعيد نشره في كتابه الشهير (ذهنية التحريم"، فيقول: "لو كان صحيحًا أن الشرق الذي يدرسه

[1]- نضال قوشحة، في نقد الاستشراق، مفكرون عرب يعارضون إدوارد سعيد، جريدة العرب، العدد، 794 11، تاريخ النشر: 23-04-2020م، ص: 10.

[2]- بوعرفة عبد القادر، الاستشراق .. ماذا تعرف عن الكتاب الأشهر لإدوارد سعيد؟، موقع الجزيرة، www.aljazeera.net/blogs، تاريخ النشر: 2019/02/28م، تاريخ الإطلاع: 2021/03/26م

الاستشراق ليس إلا صورة مشوهة في خال الغرب وتصورًا مزيفا في عقله، كما يكرر إدوارد سعيد في شجب صاحب الصورة والتصور ولومه وتقريعه، أو ليس صحيحًا كذلك أن الغرب يكون بفعله هذا قد سلك سلوكا طبيعيا وسويًا وفقًا للمبدأ العام الذي يقول لنا إدوارد أنه يتحكم بآلية تلقي ثقافة ما لثقافة أخرى غربية عنها؟ فالعظم في هذا الموقف يؤسس على موقف إدوارد سعيد من المفكر الفرنسي "لويس ماسينيون" الذي إعتبره سعيد بأنه المستشرق الوحيد الذي فهم التراث الشرقي وكتب عنه من الداخل.

كما وضع المفكر اللبناني "مهدي عامل" بحثًا نشر في كتيب بعنوان (هل القلب لشرق، والعقل للغرب)، ماركس في استشراق إدوارد سعيد، نشر سنة (1985م)، ينتقد فيه عامل النظرة الشمولية لمفهوم الخطاب كما ورد عند إدوارد سعيد وأنه لا يرى إلا ثقافوة واحدة في العالم هي الطاغية ولا يرى تقيضا لها، كما يرى "عامل" أن هذا الفكر مثالي ولا يعترف بتعدد المعرفة والثقافة، كما يضيف منتقدًا "سعيد" بأنه بإنتقاده للفكر الاستشراقي ظل أسيرًا له، فكتب: "إن القول بتأكيد مقولة الفكر الاستشراقي التقليدي التي تميز بين روحانية الشرق ومادية الغرب، يدل على أن النص السعيدي لم ينجح في الإفلات من منطق الفكر الاستشراقي، بل ظلّ في نقده له، أسيره"([1])

أما المفكر الفلسطيني "وائل الحلاق" فقد قدم من خلال كتابه "قصور الاستشراق (2018)، نقدًا متأخرًا لسعيد، معتبرًا أنه أساء فهم الاستشراق، ولم يستطع أن يقرأ هذه النصوص خارج العالم الاستعماري الذي أنتجت خلاله، كما توصل الحلاق من خلال كتابه إلى مفارقه مفادها أن سعيد كان مستشرقا بحسب تعبيره، لأن الاستشراق حسب الحلاق لا يعني فقط بتفكيك صورة الشرق المختلف الذي أنتج تحيزاتها، بل هو أيضا نقد للبنى التحتية التي أنتجت التنوير الغربي[(2)].

[1]- نضال قوشحة، في نقد الاستشراق وإعادة تعريفه، مفكرون عرب يعارضون إدوارد سعيد، جريدة العرب، العدد 11794، تاريخ النشر، 2020/04/23م، ص: 210.

[2]- بوعرفة عبد القادر، الاستشراق، ماذا تعرف عن الكتاب الأشهر عند إدورد سعيد؟ ،موقع الجزيرة تاريخ النشر: 2019/02/28م، تاريخ الاطلاع، 2021/03/26م.

فقد أحدث كتاب الاستشراق لإدوار سعيد ولا يزال جدلاً واسعًا على الساحة الدولية الأدبية والفكرية، فقد ظل فكريا تتصارع فيه الأفكار، بتحوله من دراسة أدبية حضارية إنسانية، إلى نقاش جدلي واسع بين مفكري العالم ونقاده، ولذلك راجع بالأساس إلى قيمته الفكرية التي حملها ومنهجه العلمي الذي كتب به.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة يمكن القول أن وجهات النظر حول الاستشراق والمستشرقين قد اختلفت، فهناك من وقف منها موقف المؤيد والممجد والمتحمس لها، وهناك من وقف منها موقف الرافض جملة وتفصيلا، بالإضافة إلى الذين اتجهوا إلى الجانب المحايد، بموقف معتدل أشاد بكتابات المنصفين الذي ينشدون من كتاباتهم الحقيقية العلمية سالكين المنهج العلمي النظيف والنزيه، ورفض الكتابات الاستشراقية ذات الأغراض الخفية.

-فالإستشراق تيار فكريتجه نحو الشرق لدراسة حضارته و أديانه و ثقافته و لغته و أدبه،كما كانت له مساهمات كبيرة بنقل الفكر الغربي الى الشرق،و نقل الفكر الشرقي الى الغرب، و تثبيت قنوات الاتصال بين العالمين، مما سهل التبادل و التلاقح الفكري.

-تزامن بدايات الاستشراق والفتوحات الإسلامية والاحتكاك بالإمبراطورية البيزنطية، مما يراه بعض المؤرخين متزامنا والحروب الصليبية.

-تميز الدراسات الاستشراقية حول العالم العربي وتراثه بالمنهج العلمي.

-دراسة الاستشراق ما هي الا اكتشاف للتفريق الثقافي والسياسي الذي يمارسه الغرب ضد العرب و الشرق عموما.

وهو ما أشار إليه إدوارد سعيد من خلال كتابه الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق). ومن النظريات التي أسس لها إدوارد سعيد فيما طرحه نجد:

- نظرية ما بعد الاستعمار، التي ارتكزت على فهم ثنائية الشرق والغرب.
- تفكيك الخطاب الاستعماري.
- الدفاع عن الهوية الوطنية والقومية.
- علاقة الأنا بالآخر.
- الإشارة إلى الاستشراق على أنه أسلوب غربي للسيطرة على الشرق و التحدث باسمه.

كما وقد نادى إدوارد سعيد من خلال منهجه الإنساني إلى إحلال ثقافة الحوار وتطهير النوعية الإنسانية من الشوائب التي علقت بها، ملتزمًا بمبادئ العدالة والمساواة لتأسيس ثقافة تتشارك فيها البشرية جمعاء.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في دراستنا المتواضعة لهذا الموضوع الشيق ولكتاب الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق) لكاتبه "إدوارد سعيد" الذي يستحق بجدارة أن يلقب بملك الاستشراق.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1- ادوارد سعيد، الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006.

قائمة الكتب:

1) أحمد سما يلوفيش، فلسفة الاشتراق وآثارها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، (د-ط)، 1998.

2) إدوارد سعيد/ الاستشراق، تر: كما أبوديب، دار الأبحاث العربية، لبنان، ط6، 2003.

3) رودي بارت، الدراسات العربية الاسلامية في الجامعات الألمانية، تر: مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهر، (د-ط) 1967.

4) صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، دار الكتاب، ج1، لبنان،14،1987م.

5) عبد الرحمن بدوي، المستشرقين، دار العلم للملايين بيروت، ط3، 1993م.

6) عفاف صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية، القاهرة، (د-ط)، 1980.

7) على حسين الخربوطلي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1998م.

8) فاروق عمر فوزي، الاستشراق التاريخي و الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) دار الاهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان،ط1، 1998م.

9) مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين، دار الإرشاد، بيروت، (د-ط)، (د-ت).

10) محمد جلاء ادريس الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العربية، دار العربي، القاهرة، 1995.

11) محمد فتح الله، الزيادي، الاتشراق (أهداف ووسائل)، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، دار قتيبة، ط1، 1998.

12) محمد قدور تاج، الأدب العربي في ميزان الإستشراق، مكتبة المجتمع العربي للنشر، والتوزيع، ط1، 1435هـ، 2014م.

13) محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، دار الإرشاد، بيروت، ط1.

14) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، (د-ط)، 1949.

15) مصطفى السباغي، الاستشراق والمستشرقين (ما لهم وما عليهم)، دار الوراق للنشر والتوزيع، مكتب دار البيان، الكويت، (د-ط) 1968.

16) ميشال جحا، الدراسات العربية والاسلامية في أوروبا، معهد الانماء العرب، ط1، (د-ت).

17) نجيب الحقيقي، المستشرقين، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط4، (د-ت).

18) يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق،الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين، تر: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي،ط2 ،2001م.

قائمة المجلات:

1) شكري النجار، لم الاهتمام بالاستشراق، مجلة الفكر العربي، العدد 31، 1983.

2) غربي بكاي، فن القراءة عند المستشرقين، مجلة الباحث في الآداب واللغات، دورية أكاديمية محكمة تصدر عن مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة في الجزائر، جامعة إبن خلدون، تيارت، العدد10، جوان 2014، الجزائر

3) نضال قوشحة ، في نقد الاستشراق وإعادة تعريفه، مفكرون عرب يعارضون ادوارد، سعيد، جريدة العرب، العدد4، 1179.

قائمة المواقع الإلكترونية:

1) شبكة جامعة بابل – كلية التربية للعلوم الانسانية.

http://www.humahitities.uobabylon.eduiq

2) موقع أخبار الدفاع والتسليح، http://defense-arab.com

3) موقع ويكيبيديا، https:ar-wikipidia-org

4) عبد المنعم عجب الفيا، في نقد أطروحة إدوارد سعيد، صفحة الفايس بوك .

5) بوعرفة عبد القادر، الاستشراق، ماذا تعرف عن الكتاب الأشهر لإدوارد سعيد، موقع الجزيرة، www.pljazara.mot/blogs .

قائمة المقالات

1) محاضرة ألقاها المستشرق ميكائيل أنجلو جودي في الجمعية الجغرافية الملكية، بالقاهرة، تحت عنوان (علم الشرق ميكائيل أنجلو جويدي في الجمعية الجغرافية الملكية، بالقاهرة، تحت عنوان (علم الشرق وتاريخ العمران)، نشرتها مجلة الزهراء، في عددها الصادر في ربيع الأول 1347هـ.

2) نذير حمدان، في الغزو الفكري.

فهرس
المحتويات

بسملة

الشكر

الإهداء

المقدمة العامة ..... أ

مدخل..... **05**

الفصـــل الأول

ماهيـــــــة الاستشـــــــراق

1- مفهوم الاستشراق لغة واصطلاحا..... **12**

2- تاريخ الاستشراق..... **16**

3- دوافع الاستشراق **19**

4- المدارس الاستشراقية..... **37**

الفصـــل الثانـــــي

استشـراق المفاهيـم الغربيـة للشـرق

تجليات الاستشراق عند إدوارد سعيد..... **51**

عرض محتوى الكتاب **52**

الفصل الأول للكتاب: نطاق الاستشراق **52**

الفل الثاني للكتاب:أبنية الاستشراق وإعادة بنائها..... **65**

الفصل الثالث للكتاب: الإستشراق الآن..... **79**

نقد وتقويم **93**

الخاتمة..... **97**

قائمة المصادر والمراجع

الملخص

ملخص:

يعد الاستشراق تعبيرا عنما وصل إليه الفكر الغربي من دراسات حول العالم الشرقي (تاريخه وعلومه، وفنونه وثقافته)، أما الخطاب الإستشراقي فقد لقي نقدًا من طرف الكثير من المفكرين من الشرق والغرب على حد سواء.

ومن أبرز من تحدثوا عن الاستشراق نجد الفلسطيني "إدوارد سعيد"، الذي عمد في كتابه " الاستشراق" إلى فضح الاستشراق كونه أسلوب غربي للسيطرة على الشرق، والتحدث بإسمه، كما لم يقتصر في دراسته على المعرفة لذات المعرفة، بل للمعرفة كأداة لتحقيق الهيمنة الكاملة أيضا، وإعادة التصنيع للمفهوم الغربي للشرق الذي جسد في نقطتين أساسيتين، الاول: كون الشرق دائما موضوع صامت، تم عرضه ودراسته وتحليله، والثانية، كون الدراسات الغربية نابعة من خارج الشرق نفسه، ومن صراع ديني.

فالملاحظ من رؤية سعيد أنه أراد أن يؤسس لبعد المقاومة عن طريق الثقافة، بآليات مماثلة كإدراج المثقف كأداة للمقاومة، وفتح أفق الحواريين الحضارات.

فهذا الكتاب حسب مؤلفه قد تشرف بأنه على الأقل جُنِدَ في النضال، وهو لا يزال مستمرًا بطبيعة الحال في الغرب والشرق معًا.

Summary

Orientalism is an expression of what Western thought has reached from studies about the eastern world (its history, sciences, arts and culture). As for the Orientalist discourse, it was criticized by many thinkers from both East and West alike.

Among the most prominent of those who talked about Orientalism is the Palestinian "Edward Said", who in his book "Orientalism" deliberately exposed Orientalism as a Western method for controlling the East, and speaking in its name, and his studies were not limited to knowledge of the same knowledge, but to knowledge as a tool to achieve complete domination as well. And the re-industrialization of the western concept of the East, which embodied in two basic points, the first: that the East was always a silent subject, which was presented, studied and analyzed, and the second, that Western studies stemmed from outside the East itself, and from a religious conflict.

It is noticeable from Saeed's vision that he wanted to establish the dimension of resistance through culture, with similar mechanisms such as the inclusion of the intellectual as a tool of resistance, and the opening of the horizon of dialogues of civilizations.

This book, according to its author, may be honored that at least he was recruited into the struggle, while it is still continuing naturally in both the West and the East.